

ياطالع الشجرة

توفيق الحكيم

توفيق الحكيم

يا طالع الشجرة

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

إلى صديقى
رجل العلم والأدب والفن
الدكتور حسين فوزى
شكراً على هديته النفيسة
« سندباد مصرى »

يـا طالـع الشجـرة
هـات لى معك بقـرة
تحلب وتسقينـــى
بالمعلقـــة الصينـــى
إلخ ... إلخ

هل لهذا الكلام معنى ؟... ما هو المعنى الذى يمكن أن يكون له ؟... ومع ذلك فإن أجيالا من الأطفال والصبية قد رددوه ، وما زالوا يرددونه فى بلادنا ، ولقد سألت أخيرا صبيا يردده ، وكان فطنا ذكيا ، فاعترف بأنه فعلا لا يفهم له معنى ، وأنه من غير المعقول فى رأيه أن تكون هناك بقرة فوق الشجرة . وبرغم هذا انطلق يردده فى نشوة ومرح ... إذن ... فشىء خفى فى هذا الكلام يستطيع أن يقوم بنفسه دون حاجة إلى معنى أو منطق ...

هنا المنفذ الذى انفتح على عالم عجيب جديد : هو الفن الحديث . فقد اتجه هذا الفن الحديث إلى تعميق منطقة هذا الشىء الخفى . وكانت وسيلته التجرد أولا من المعنى والمنطق ، فأصبح التصوير مجرد بقع لونية ، والنحت بقع كتلية ، والموسيقى بقع صوتية ، والشعر بقع لفظية — كلمة « البقع » هنا تعبير خاص عن انطباعى الشخصى ... ونتج عن ذلك نوع من الفن يتصل

مباشرة بالعين أو بالأذن ، دون أن يمر بالعقل . ولقد أغرانى هذا الفن الجديد فى السنوات العشرين من هذا القرن — وأنا فى باريس — بالشروع فى المحاولة . فكتبت بضع قصائد شعرية نثرية من هذا النوع ، وهو لا يتقيد أيضا بنظم ولا بقالب معروف ، أهملتها فيما بعد بالطبع ... لأن اتجاهى الأصلى كان إلى المسرح ...

وكان المسرح فى عشرينات هذا القرن — منذ أربعين عاما — قد بدأ يلتفت فى دهشة إلى المجدد الإيطالى « بيراندللو ». وكنت أنا من أوائل مشاهديه فى باريس . وأذكر جيدا كيف استقبل يومئذ بذلك الاستغراب والاستنكار والنقاش والجدل من خاصة المثقفين فى مسرح طليعى صغير .

بل إن « إبسن » و « برنارد شو » كانا أيضا وقتئذ يمثلان فى باريس فوق مسارح طليعية لا يؤمها إلا الخاصة . أما « تشيخوف » فلم يكن أحد فكر فى مسرحه بعد أو جرؤ على محاولة إخراجه فى باريس . هذا ما كان يسمى بالمسرح الحديث فى ذلك الوقت ... لم يكن له علاقة بعد بالحركة التجريدية التى ظهرت بوادرها فى التصوير والنحت والموسيقى والعمارة والشعر . كان على العكس ، مسرحا يقوم على المعنى والمنطق

والعقل ، بل وخاصة على العقل والفكر والذهن إلى أبعد حد .

ومن هنا كان اتجاهى إليه مع المتجهين من عشاق المسرح الحديث فى العالم يومئذ . غير أنى تحولت به التحول الذى يناسب طبيعتى وحالة المجتمع الذى نشأت فيه . ذلك أنى لم أشعر فى ذلك الوقت أن مجتمعى قد تهيأ بعد للدعوات الاجتماعية التى كان يبشر بها « إبسن » و « برنارد شو » ولا للتحليلات النفسية التى يعالجها « بيراندللو » فكان أن تناولت قضايا ذهنية تنبع من تفكيرنا الشرقى مثل : « أهل الكهف » و« شهر زاد » و « سليمان الحكيم » إلخ ...

صحيح أنه كانت لدينا مشكلة اجتماعية هامة عقب الحرب العالمية الأولى أثارت الجدل : هى مشكلة السفور والحجاب للمرأة فى بلادنا ، إلا أنه لم يكن من الممكن تناولها مسرحيا إلا على النحو الذى يلائم حالة مسرحنا فى تلك الأيام ، وعلى النحو الذى كتبت به مسرحية « المرأة الجديدة » . أما التفكير فى كتابتها على مستوى « إبسن » أو « برنارد شو » — وهما اللذان لم يشقا الطريق إلى المسرح فى أوروبا نفسها إلا بعد وقت وجهد ، وبقدر وحذر — فأمر سابق للأوان ... ربما اليوم ، وبعد نجاح مسرحية مثل « السلطان الحائر » على مسرحنا أمام جمهور عادى قد نأمل

فى مشاهدة الكثير من القضايا الاجتماعية أو السياسية تعرض فى إطار مسرحى جاد ...

قد يقال : إن مسرحية مثل « الصفقة » أو مثل « الأيدى الناعمة » أقرب إلى واقعنا الاجتماعى وإلى حالة مسرحنا اليوم ، وأدعى إلى النجاح والتأثير . وهذا حق . وإنه لمن الضرورى لنا أن تظهر مسرحيات عديدة من هذا النوع . إلا أن النوع الآخر أيضا يحسن وجوده — ولو على نطاق ضيق — أقصد به نوع « الواقعية الفكرية » — كما يمكن أن أسميه : أو « الفكر الواقعى » ... ذلك أن « إبسن » أو « برنارد شو » ومطورهما فى الوقت الحاضر « جان بول سارتر » عندما يعالجون واقعا اجتماعيا أو سياسيا لا يتناولونه كمجرد تصوير أو تعبير خارجى ، بل يهبطون إلى أعماقه الفكرية ... من هنا جاءت دسامة هذا المسرح وعدم ملاءمته لكل أنواع الجماهير .

ومن هنا أيضا ، وعلى نحو أشق جاءت صعوبة تمثيل مسرحيات مثل « أهل الكهف » و « شهر زاد » لأن الفكر هنا ليس هو « الفكر الواقعى » بل هو « الفكر المجازى » . أو الأسطورى بأشخاصه الأسطورية أو المجازية التى لا تلمس ولا تصادف فى الحياة الواقعية . لكن ليس معنى الصعوبة أن نيأس

وأن ننصرف إطلاقا عن هذه الأنواع إلى الأنواع الأخرى الميسرة إلى النفوس ، الأكثر استجابة إلى الجماهير ... يجب أن نتشجع ونقتحم الصعوبة ، ونطور هذا النوع الصعب ، كما استطاع « جان أنوى » أن يطور اليوم « بيراندللو » ويدنو به من جماهير أوسع .... (سارتر وأنوى ما كانا بالطبع قد ظهرا بعد عندما كنت فى باريس فى ذلك العهد ....)

كان هذا هو الوضع فى السنوات العشرين بهذا القرن . إذا استثنينا بعض محاولات غريبة قام بها « ألفريد جارى » فى مسرحيته « أوبوملكا » و « جان كوكتو » فى مسرحيته « أورفيه » و « عرسان برج إيفل » ، و « مارسيل أشار » فى مسرحية « أتريدين أن تلعبى معى » ثم الأمريكى « ساتون فين » فى مسرحيته « فى عرض البحر » ... محاولات اتسمت بالغرابة والأغراب ، ولكن أغلب أصحابها لم يلبثوا أن هجروها إلى المسرح الواسع . و لم يحاولوا الظهور بمظهر المدرسة المتماسكة المصرة على الصمود ... لذلك لم أنظر إليها نظرتى الجدية إلى المسرح الحديث الحقيقى الذى بدا أنه اتخذ جذورا قوية فى تاريخ الأدب المسرحى ، على الرغم من ضعف نفوذه فى الجماهير الواسعة . وأعنى به مسرح « إبسن »

و « برنارد شو » و « بيراندللو » ذلك المسرح المعتمد على الحركة الداخلية للفكر والنفس ، أكثر من اعتماده على الحركة الخارجية للمواقف والعواطف ...

وأخيرا ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية — وعلى الأخص فى السنوات الخمسين لهذا القرن — بوادر مدرسة جديدة فى المسرح ، ظهرت متفرقة أول الأمر . « برخت » فى ناحية و « أونكسو » و « بيكيت » و « فوتييه » و « آداموف » فى ناحية أخرى ، ولكن سرعان ما بدا على هذه الحركة علامات التماسك والإصرار ، وإذا هى تصمد بقوة أمام هجمات المعرضين من أغلبية النقاد والمشاهدين إلى الحد الذى لم يصبح فى الإمكان تجاهلها .

وقد حاولت تجاهلها فعلا على الرغم من مطالعتى وتتبعى لإنتاجها . و لم أفكر أثناء إقامتى فى باريس عام ١٩٥٩ — ١٩٦٠ أن أقترب منها . فقد رأيت جيلى من شباب السنوات العشرين لهذا القرن قد أصبحوا كهولا وشيوخا داخل مجامع الأدب : « كوكتو » أصبح عضوا فى « الأكاديمى فرانسيز » وكذلك « مارسيل بانيول » ، أما « مارسيل آشار » فكانوا يحتفلون باستقباله فى المجمع فى ذلك العام ... وكانوا كلهم أبعد ما يكونون

عن هذه المدرسة الجديدة لجيل « أونسكو » و « فوتييه » و « آداموف » ...

إذن ... ما الذى يدعونى أنا إلى النظر إلى هذه الحركة نظرة الجد ؟...

لم أكن أتصور أنى سأهتم بها يوما ... وقد غرست قدمى كل تلك الأعوام الطويلة فى أرض أخرى ...

ما الذى تغير إذن ؟...

هنا بعد عودتى إلى بلادى منذ عامين أخذت أتأمل فنون شعبنا ... وإذا بى أجد الأرض الحقيقيه التى احتوت معدن هذا الفن الحديث كله ...

إذا كانت السمة الظاهرة فى الفن الحديث ، من : تصوير ونحت ومسرح ... الخ ... هى التعبير عن الواقع بغير الواقع ، والالتجاء إلى اللامعقول واللامنطقى فى كل تعبير فنى ، وابتداع التجريد فى الوصول إلى إيقاعات ومؤثرات جديدة ... فإن كل ذلك قد عرفه فناننا القديم والشعبى على أرض بلادنا منذ القدم ...

وإذا كان « بيكاسو » فى تجريده وبعده عن واقعية الأسلوب قد صور الوجه الجانبى « البروفيل » والوجه الأمامى معا وفى وقت واحد ، فقد صنع ذلك الفنان المصرى القديم عندما صور

الوجه الجانبى للرأس فوق الصدر الأمامى للجسم ...

وإذا كان المذهب التكعيبى فى التصوير الحديث أراد بتجريداته الهندسية أن يصل إلى أشكال وإيقاعات جديدة ؛ فإن فن الزخرفة عندنا فى المساجد والمبانى والأوانى قد عرف من قديم هذه التجريدات الهندسية للمربعات والمكعبات ، ووصل بها إلى إيقاعات بديعة ...

وإذا كان النحت التكعيبى يعبر عن حركة الأجسام بكتلة مكعبة أو مربعة ، فإن النحات المصرى القديم فى تمثال « الكاتب » الجالس القرفصاء ، قد عبر عن الحركة بالكتابة المربعة أبرع تعبير ...

فإذا انتقلنا إلى التصوير الشعبى المصرى وجدنا العجب ... فهو قد زاول « السريالية » وما فوق الواقعية قبل أن يخطر هذا المذهب للأوربيين على بال . ويكفى أن ننظر إلى تلك الصور المرسومة على حيطان الحجاج ، أو على صفحات كتاب ألف ليلة وليلة ، أو على لوحات الورق التى تمثل مبارزات أبى زيد الهلالى سلامة ، والزناتى خليفة ، وغيرهما من أبطال الأساطير الشعبية . من ذلك صورة كنت أراها فى صباى لفارس من أولئك الفرسان الشعبيين وهو يضرب بسيفه رأس خصمه ، فإذا السيف قد شق

الرأس والجسم معا ، وإذا الصورة تمثل الخصم مشقوق الجسم وهو لم يزل فى مكانه فوق حصانه ، وكأنه لم يدرك بعد ما أصابه ... ونفس هذه الصورة عبر عنها بالكلام الأديب الشعبى فى مثل هذا الموقف وقد ضرب فارس من فرسان الأساطير الشعبية « لعله أبو زيد أو الزناتى » ضربة سيف شطر بها عدوه من منتصفه ، وظل العدو على فرسه لم يفطن إلى إصابته ؛ بل قال ساخرا للفارس الضارب : « طاشت منك الضربة » فأجابه الفارس : « اهتز يا ملعونة » ... فلما اهتز بجسمه انشطر الجسم نصفين ووقع على الأرض !!! هذه الصورة غير الواقعية قصد بها أن تكون هكذا ... لأن الفنان الشعبى فى بلادنا — مصورا كان أو أديبا — قد أدرك بالسليقة هذه المنطقة الغنية العميقة من مناطق التعبير الفنى ، قبل أن يدركها الفنان الغربى ويضع لها المذاهب ...

هذا هو السبب الذى دعانى اليوم إلى كتابة هذه المسرحية . فنحن أولى من غيرنا باستلهام أساليبنا الشعبية فى الاتجاهات الفنية المختلفة .

و لم أشأ عن عمد أن أكتب هذه المسرحية بلغة شعبية : أى بالعامية . وذلك لسببين : الأولى أنى أردت أن يكون مفهوما أن

الاستلهام ليس هنا على أساس لفظى أو لغوى ... بل على أساس آخر ...

فنحن قد اعتدنا عند النظر فى أدبنا الشعبى أن نتجه توا نحو اللغة ، وإلى اللفظ . وهذا يصرفنا أحيانا كثيرة عن تأمل الأسلوب الداخلى للتعبير الفنى ذاته . ولماذا هو واقعى أو غير واقعى . وما سر اللامعقولية واللامنطقية فيه ؟... وما هدف الفنان الشعبى من هذا اللون من ألوان التعبير ؟... وكيف استطاع أن يرتاد بهذه الطريقة مناطق عجيبة ...

والسبب الثانى : أن المسرحية — وقد خرجت قصدا عن الواقعية — سقط المبرر لاستخدام اللغة الواقعية لأشخاصها . وأصبح من الملائم لحوادثها غير الواقعية لغة غير واقعية أيضا : أى غير عامية ، وبذلك يبتعد التعبير والتصوير عن الواقع على قدر الإمكان ... سواء فى الشخصية أو اللغة ...

على أنه من الضرورى هنا أن ألفت النظر إلى أمر هام : وهو أنى أعتقد أن مسرحنا الحاضر لم يزل فى حاجة ماسة إلى الفن الواقعى إلى سنوات عديدة مقبلة . فنحن لم نفرغ بعد من تصوير وتسجيل مراحل حياتنا الواقعية ومجتمعنا المتطور . لهذا لا أنصح بهذا اللون غير الواقعى إلا فى أضيق الحدود ...

ولولا دواعى النهضة التى تقضى بأن تكون كل أنواع الفن ، فى المسرح وغيره ممثلة لدينا .... وأن تفتح جميع الأبواب أمام كل السبل والطرق والأساليب . حتى يستطيع كل جيل أن يتحرك ويسير ، ولا يعوقه باب مغلق عن اختيار النوع الذى يؤهله له استعداده ، لولا هذا الاعتبار الهام لما رأيت ضرورة لفتح هذا الباب ... فإن ما ينبغى أن نخشاه هو أن يجمد فننا فى قالب واحد ، فى الوقت الذى يتحرك فيه الفن العالمى فى مختلف الاتجاهات ...

وهذا الاتجاه الذى تسير فيه هذه المسرحية وإن كان مسايرا لاتجاه ما يسمى بالمسرح الجديد اليوم فى تحرره من الواقعية . إلا أنه لا يخضع لنوع معين فيه . فإن طبيعتى الشخصية من جهة ، واستلهاماتى الشعبية المصرية من جهة أخرى لها دون شك — وربما على رغمى — دخل كبير فى تكييف نوعها تكييفا خاصا يمكن أن أسميه الآن مثلا : « اللاواقعية الشعبية الفكرية » .

إنها إذن نوع يناقض « الواقعية الفكرية » لـ « إبسن » و « بيراندللو » و « شو » التى انقلبت عندى فى « أهل الكهف » و « شهر زاد » و « سليمان » الخ ... إلى « المجازية الفكرية » بحكم الطبيعة الخاصة كذلك ، والمجتمع الشرقى وقتئذ كما

قدمت ...

لكن أليس من التناقض الجمع بين الشعبية والفكرية ؟!...

ربما ظهر هذا للوهلة الأولى ... غير أنى أعتقد شخصيا ، وأحب دائما أن أرى وأن أستخرج — كما حدث عندى فى « شهر زاد » من فننا الشعبى أساسا فكريا ... حتى عندما لا يريد الفن الشعبى أن يقول شيئا ... بل وعلى الأخص عندما لا يريد أن يقول شيئا ... وليس هذا من قبيل المزاح .

ها هنا الفن الحديث كله فى جوهره الحقيقى : إنه لا يريد خلقا مستقلا من ذات فكر الإنسان و « توليفاته » و « تفانينه » ... إنه يريد أن يقول شيئا عندما لا يقول شيئا ...

إن « بيكاسو » مثلا — وأذكره ، لا لذاته ؛ بل كمجرد رمز ودلالة على الفن الحديث — عندما يصور تشكيلا فنيا يبدو لنا بلا معنى ، وهو الحق لا يريد أن يحمله معنى حتى وإن وضع تحت الصورة عنوانا ... لأن المعنى الذى يريده لا يقال ، وإنما يعمل ، لا يسمى باسم ، إنما يكتشف بالخلق جديدا مجهولا فى عالم المعروفات ... وإن عملية الكشف والخلق وحدها هى المعنى ... ولا يمكن أن يكون لهذا المخلوق الجديد أى

معنى نفهمه نحن طبقا للمعانى المعروفة لدينا ... لأنه لا يتصل بعالم الجمال الذى نعرفه ، ولا بالمنطق الذى نفهمه ... إنه يحوّل ويحوّر الجمال القديم إلى نوع آخر مجهول ... لجمال جديد فى عرفه واعتقاده ....

ما جدوى ذلك إذن ؟...

جدواه — إذا نجح — أن يضيف إلى عالم الجمال الذى نعرفه واعتدناه قارة أخرى مجهولة موحشة قليلا فى أول الأمر ... ولكن عندما نعتادها ونطورها سنظفر منها بثروة جديدة وأفق جديد مفتوح على احتمالات ومقدورات عديدة .. وبوادر نجاح قد ظهرت فى مثل بسيط : أثواب النساء ، من كل يبصر منذ ثلاثين أو عشرين عاما أقمشة الأثواب تزينها لا رسوم ذات معنى من زهور ونحوها ، بل مكعبات ومربعات ودوائر من أعمال الفنى التكعيبى ، بقع ثم بقع كبيرة من الألوان الصاخبة وكأنها قد أريقت إراقة عفوية فوق القماش ؟!... خطوط وألوان تجريدية مجردة من كل معنى ، ومع ذلك قد رضيت بها النساء ، وأقبلن عليها دون استنكار أو ضجيج ... واعتدن ألوانها وأشكالها ... واكتسبن أنواعا جديدة من الزينة أضفنها إلى الأنواع التقليدية المعروفة ، وسررن بهذا الخلط — شبه الاعتباطى — للألوان

ووجدن فيه سحرا ... لعل سر ذلك أن المرأة لا تقيس الأشياء بعقلها ... ولا تفهم الجمال بالمنطق ... وهى مستعدة دائما أن تنفذ إلى صميم الأشياء عن طريق حاسه مجهولة ...

وفننا الشعبى قد عرف — قبل كل هذه المدارس — هذه الأسرار دون أن نلقى إلى مقصده بالا ...

ولطالما اتهمنا عرائس المولد الحلاوة وقوة مخلوقاته العجيبة المختلفة ، من طيور وحيوان وزهور ورسوم وأشكال وأوراق ملونة ومذهبة ومفضضة وقطع زجاج وصفيح ، بأنها أعمال بدائية قبيحة ساذجة ، وطالب بعضنا بما يسميه تطويرها إلى ذلك النوع من الكمال والجمال المحفوظ الممضوغ : جمال « الكارت بوستال » دون أن ندرك أنها بصورتها الشعبية إنما تكاد تمثل أحدث مدارس الفن فى أوروبا قبل أن تظهر هذه المدارس بأجيال ... وأعرف من الأوربيين من اشترى من بلادنا عروسة مولد من الحلاوة ووضعها فى داره بباريس بين لوحات « البراك » و « موديليانى » و « ماتيس » ... ولا يخشى على هذه القطعة — الفنية فى نظره — من شيء إلا من النمل !!!....

ولكن ... عندما أريد استلهام فننا الشعبى فى مسرحية ، فإن الأمر يختلف قليلا ...

فالمسرحية لا بد أن تحمل معنى ولا يكفى فيها المعنى الداخل فى ذات تشكيلها ... ربما استطاع الشعر ـــ وخصوصا السريالى والدادى ـــ أن يحمل معنى وجوده فى ذات صياغته ... ولكن المسرحية ، وكذلك القصة ، لا بد أن تقول شيئا ...

فالمسرحية لا يمكن أن تقوم إلا بأشخاص ... والأشخاص لا بد أن يتكلموا ... وإذا تكلموا فلا بد أن يقولوا شيئا ... وإذا لم يقولوا شيئا وقفت المسرحية ... المسرحية عمل إنسانى : أى يتعلق بذات الإنسان ... وهى أكثر التصاقا بالإنسان من القصة ، ومن الشعر ومن أى خلق فنى آخر ... لأن هنالك من القصص أو الشعر ، ما يمكن أن يستغنى عن وجود الإنسان ويدور حول حيوان أو جماد أو مظهر من مظاهر الطبيعة ...

ولكن المسرحية لا بد لها من الإنسان ...

إنها كون ، والإنسان واقف فيه يتكلم ويحاور ويسأل ، ويجاب أو يريد أن يجاب ...

وموقف الإنسان فى الكون موقف عجيب ... إنه يريد دائما أن يتكلم وأن يسأل وأن يتلقى جوابا ...

فإذا صمت الكون عنه فالويل للكون ... إنه يبدو عندئذ عبثا من العبث فى نظر هذا الإنسان ، المسمى أحيانا « ألبير كامو »

وأحيانا أسماء أخرى كثيرة فى مختلف البلاد واللغات ... إنهم على استعداد دائما لتحطيم هذا الكون أو تحطيم أنفسهم إذا لم يجدوا عنده الجواب الصريح ... ولكن الكون لا يتحطم إلا فى نظرهم ... إنه قائم دائما لا يقول شيئا ... وهو مع ذلك يقول كل شيء ...

وفننا الشعبى ـــ لأنه نابع من الفطرة المتصلة اتصالا مباشرا بالطبيعة وبالكون ـــ يقول أشياء كثيرة دون أن يبدو عليه أنه يقول شيئا ... وأن هذا الخلط الذى نحسبه خلطا ؛ ليس إلا وسيلة تلقائية من وسائل تعبيره ، عندما نتأملها نجدها مشحونة بطاقات صالحة للاستلهام والاستغلال الفنى ... ذلك أن الفنان الشعبى لم يحاول محاكاة أساليب الجمال الفنى التقليدية ... ربما عن قصور أو تقصير أو جهل ... وربما أيضا عن إرادة ... وكل هذا سواء ، المهم أنه لا يسير فى الدروب المعروفة المعترف بها ... وتلك هى الفكرة الأساسية فى الفن الحديث ... إنه قد أدرك عن يقين أن الفن التقليدى لم يعد فى الإمكان محاكاته ، دون الهبوط إلى التقليد العقيم ... إن الجمال القديم قد استوى على عرشه ، وما علينا إلا أن نعيده .. أما الإنتاج على غراره فلغو وتكرار لن يضيف جديدا ، ولا ينفع إلا الطلاب فى تمريناتهم ، وحذاق المقلدين

المرتزقين من حرفة محاكاة الأقدمين ، وآلاف منهم يظهرون فى كل جيل وفى كل قرن ، يعيشون على براعتهم وإجادتهم فى النقل الأمين للجمال الخالد . ولكن الابتكار يجب أن يستمر ، وهو لن يسمى ابتكار إلا إذا شق طريقا آخر غير مألوف ولا معروف ، حتى وإن كان غير مستساغ ... ولا بد من الخيار بين أمرين : إما أن نجلس بجوار الجمال الخالد ، نردده ونكرره ، وإما أن ننهض لنرتاد قيما جديدة لا تستسيغها أذواقنا القديمة .

فى رأيى أنه لا داعى إلى الاختيار هنا ... يكفى أن نقبل الأمرين معا ... نعيش مع الجمال الخالد التقليدى ونستمتع به ، وننهض مع ذلك أحيانا لنرتاد الجديد ونفتح صدورنا صابرين على متاعب غرابته وبذلك نضع أيدينا على الكسبين معا ... .

لهذا عنيت بالفن التقليدى وبالفن الحديث معا ... وأحببت الفن الرسمى والفن الشعبى معا ...

على أنى عندما أذكر التجديد أو الابتكار لست أعنى وجود قطيعة تامة بينه وبين الفن التقليدى السابق عليه . بل إن الذى يحدث عادة هو أن الجديد يخرج من القديم خروجا أحيانا طبيعيا سهلا ، وأحيانا عنيفا عسرا كالولادة العسرة . ومع الحالتين بالضرورة حالة ثالثة لا تحسب فى الحساب هى : السقط والمسخ

غير الصالح للحياة . أما كل ما يصلح للحياة والنمو ، حتى وإن ولد قبل أوانه ، فإن له يومه ومستقبله ، كوليد الشهر السابع . وحتى من يولد بطريقة مفتعله أو جراحية بشق البطن : أى بالعملية القيصرية ، فقد ينتج مولودا عبقريا كيوليوس قيصر الذى ولد بها . المهم دائما أن يكون المولود كامل الأعضاء صالحا للنمو والبقاء .

وفى مخلوقات الفن والأدب والعلم شواهد كثيرة من هذه الولادات المختلفة .

ومولودات العلم والفن والأدب كمولودات البشر ، تخرج أولا من بذرة آباء ، ثم تأخذ فى الاستقلال بشخصياتها المميزة كلما نمت واتصلت بظروف وبيئات وأجواء وتجارب مختلفة متباينة .

لذلك لا ينبغى أن يخدعنا أى فن حديث مهما يشذ مظهره أو يعنف منظره عن حقيقة أصله ، فقد تكون بذرته فى صلب فن عتيق بعيد المدى ، ثم أخذت هذه البذرة تنمو خفية وتتكيف ، وتتطور ، وتنام وتستيقظ ، وتمرض وتصح ، وتضعف وتقوى ، حسب الظروف والبيئات والأجواء المحيطة ، متربصة بفرصتها الظهور والحياة .

وأعود إلى هذه المسرحية — وهى من قسمين : كبرتقالة شطرت نصفين — فأقول : إنى سرت فيها على طريقتى فى « شهر زاد » رسول وفاق ووسيط سلام ، بين المنطقة الشعبية والمنطقة الرسمية ، محاولا تحطيم الجدار القائم بينهما . وأعتقد أن هذا الجدار قد حطم نهائيا الآن ، منذ أن دخلت « شهر زاد » لا كشخصية شعبية ؛ بل كشخصية فكرية أيضا فى أدبنا الرسمى . (تعبير « الأدب الرسمى » فى مقابلة الأدب الشعبى استعمل لأول مرة فيما أظن فى كتاب « زهرة العمر » وهو تعبير غير دقيق . فأنا إذن المخطئ الأول إذا ثبت أنى كنت أول من استعمله . ولكنه على كل حال خير عندى من استعمال عبارة « الأدب الفصيح » . لأن الأدب الشعبى عندى هو أيضا فصيح . وربما كان من حيث الفن أفصح . كما أن عبارة « الأدب الجدى » ليست كذلك موفقة لأن الأدب الشعبى هو أيضا جاد فى كثير من المواضع والموضوعات . فلنستخدم إذن — مؤقتا — عبارة « الأدب الرسمى » على الرغم من عدم الدقة ..)

هذا الأدب الرسمى إذن ، بسقوط الجدار القائم بينه وبين الأدب الشعبى ، سيتحول هو والأدب الشعبى إلى أدب واحد ومنطقة واحدة ودولة واحدة ، هى : « أدابنا ». وفى دولة الأدب الموحدة ؛ لا تهم وحدة الغة ولا وحدة الأسلوب ، بقدر ما يهم وحدة الإلهام ، ومنابع أدبنا اليوم

واحدة ، يستلهم منها الأدب الرسمى والشعبى — أو ما كانا ، يسميان كذلك — على السواء ...

ولقد كنت فى مسرحية « شهر زاد » أستلهم المنبع الشعبى فى إطار الأسطورة الشعبية نفسها .

ولكننى فى هذه المسرحية أستلهم المنبع الشعبى فى إطار موضوع عصرى .

هكذا يثبت المنبع الشعبى حيويته وصلاحيته للوحى والإلهام فى شتى الاتجاهات ...

فإذا تركنا « منبع الإلهام » إلى ما يمكن أن أسميه « بؤرة الإحساس الفنى » فإن هناك اختلافا آخر بين « شهر زاد » وهذه المسرحية ...

فإنى أذكر عند كتابة « شهر زاد » أن إحساسى كان موسيقيا ... ما كنت أتمثل أشخاصا ولا أتصور مواقف ؛ بل أحس بموسيقى تطن فى أذنى ، موسيقى من طراز عصفور النار « لسترافسكى » ... تلك كانت بؤرة إحساسى التى تكونت فيها المسرحية ... وقد ظهر فعلا استحالة إخراجها بغير الجو الموسيقى ... وقد وضع لها حتى الآن تأليفان موسيقيان ... أحدهما وضعه الموسيقى الفرنسى « موريس تيرييه » والآخر

وضعه الموسيقى الإنجليزى « نورمان فورير كاى » ...

أما هذه المسرحية فعلى العكس ... بؤرة إحساسى التى تكونت فيها هى مسرحية بحتة ... فالذى تمثلته فيها هى العلاقات التشكيلية والتركيبية فوق خشبة مسرح بين أشخاص ومواقف وأزمنة وأمكنة وأصوات يتداخل بعضها فى بعض تداخلا ماديا ، كما تتداخل الألوان والخطوط والأشكال فى التصوير الحديث ... لذلك لست أنصح بأى التجاء إلى وسائل مساعدة ... كالموسيقى أو كالأضواء الحاصرة أو الكاشفة ... لست أريد هنا تفسيرات خارجية ... إنما الذى أريده هو استخراج كل ما يتوقع وما لا يتوقع من نتائج فنية تشكيلية لهذه المقابلات المادية بين أحوال مختلفة لشخص واحد فى مكانين معا وفى زمانين معا ، دون أن يجعل ضوءا يفصل بين الأمكنة ، أو موسيقى تفل بين الأزمنة ... وليس هناك من أصوات خارجية إلا صوت حفلة « السبوع » وأصوات القطار ، وإنشاد الصبيان ، ويمكن أن تحل محل الموسيقى المسرحية فى فترات السكوت والتحركات الصامتة ، وتستخدم منفردة أو مختلطة — على حسب ما تسفر عنه التجارب من نتائج ... إذن « بؤرة الإحساس » هنا فى « المسرح » نفسه ، وما يمكن أن يوضع على خشبته من تركيبات

وتشكيلات مستوحاة من « المنبع الشعبى » .

وليس عجيبا أن تتغير « بؤرة الحساسية الفنية » هذا التغيير ... فما دمنا فى صدد الفن الحديث ، فهذه هى بؤرة الحساسية الفنية فيه ...

فعلى الرغم من منابع الإلهام المختلفة فى فن الحديث كله ، من : تصوير ، ونحت ، وعمارة ، وموسيقى ، ومسرح ، وشعر أيضا ؛ فإن بؤرة الحساسية الفنية فيه واحدة : هى حب البحث والكشف عن قيم فنية جديدة ... ووسائل تعبيرية أخرى ... إن عصر البحث والكشف فى العلم عن أسرار علمية جديدة ، قد جعل الفن أيضا يشعر بالغربة عن هذا العصر العجيب إذا لم ينهض هو أيضا ليبحث ويكشف ....

وهكذا دخل كل شيء اليوم المعمل ...

ومن دخل المعمل للبحث أو الكشف فلا أحد يدرى متى يخرج ... وأغلب الظن أنه لن يخرج أبدا ... لأنه لا نهاية للبحث والكشف ...

وليست هذه مأساة هذا العصر وحده ... إنها مأساة الفنان فى كل عصر ...

وعندما قال « جوته » إن « الفن طويل ، والحياة قصيرة » إنما

كان يعنى ذلك بدون شك ...

إنى أتمثل الفنان فى نهايته قد دخل عليه عزرائيل ومعه أبولون ... عزرائيل يقول له : « إنك انتهيت » !... وأبولون يقول له : « إنك لم تنته من عملك بعد !... »

وإنى اليوم وقد اعتل قلبى أتسمع فى كل لحظة دقاته خشية أن تكون طرقات هذين السيدين المحترمين ، يعلنان تشريفهما بالحضور !...

القسم الأول

(لا توجد مناظر فى هذه المسرحية . ولا توجد فواصل بين الأزمنة والأمكنة . فالماضى والحاضر والمستقبل أحيانا توجد كلها فى نفس الـوقت .. والشخص الواحد يوجد أحيانا فى مكـانين على المسرح ، ويتكلم بنفس صوته مرتين فى نـفس الوقت . كل شىء هنا متداخـل فى كل شىء .. ولا يوجد أثاث ثابت .. كل شخص فى المسرحية يظهر حاملا بيده أثاثه ولوازمه ويخرج بها بعـد الانتهاء منها .. وهكذا يظهر ضابط المبـاحث أو الشرطة « المحقق » حاملا بيمينه كرسيه وملفه .. وتظهر خلفه « الخادم العجوز » تحمل مـنضدة خفيفة تضعها أمامه فينشر عليها أوراقه ..)

* * *

المحقق : متى اختفت سيدتك بالضبط ؟...

الخادمة : ساعة عودة السحلية إلى جحرها ...

المحقق : تقصدين المغرب ؟..

الخادمة : لم أبصر الشمس تغرب ...

المحقق : ومتى تعود السحلية إلى جحرها ؟...

الخادمة : عندما يظهر سيدى من تحت الشجرة ...

المحقق : ومتى يظهر سيدك من تحت الشجرة ؟...

الخادمة : عندما تنادى عليه سيدتى ...

المحقق : ومتى تنادى عليه سيدتك !...

الخادمة : عندما يرطب الجو فى الجنينة ...

المحقق : ومتى يرطب الجو فى الجنينة ؟ ....

الخادمة : عندما تقول له سيدتى ذلك ...

المحقق : ومتى تقول له سيدتك ذلك ؟...

الخادمة : عندما أفرغ من عملى هنا وأتأهب للعودة إلى منزلى ...

المحقق : ولماذا تعودين إلى منزلك ؟...

الخادمة : لأنى أبيت فيه دائما مع زوجى العاجز الكفيف الذى أجرى عليه ...

المحقق : وعندما تأهبت للعودة إلى منزلك يوم الحادث كانت سيدتك هنا ؟...

الخادمة : لم تكن هنا ...

المحقق : أين كانت إذن ؟...

الخادمة : كانت قد خرجت ....

المحقق : قبل أن تنادى زوجها كالمعتاد ؟؟...

الخادمة : نعم ... قبل أن تناديه ... تركته فى الجنينة ...

المحقق : لماذا ؟...

الخادمة : قالت إنها لن تتأخر أكثر من نصف ساعة ... مسافة الطريق ... تشترى بكرة جديدة من خيط الغزل ... تنسج به ثوبا صغيرا لبنتها ...

المحقق : بنتها ؟...

الخادمة : نعم ... بنتها بهية ؟...

المحقق : وأين هى بنتها بهية ؟...

الخادمة : لم تولد ...

المحقق : لم تولد بعد ؟!... ومتى ستولد ؟...

الخادمة : لن تولد ...

المحقق : وكيف تعرفين أنها لن تولد ؟...

الخادمة : هذا شيء معروف ...

المحقق : ولكنى أنا لا أعرف ... أخبرينى !...

الخادمة : كانت ستولد من أربعين سنة ... ولكنها لم تولد ...

المحقق : ولماذا لم تولد ؟...

الخادمة : أسقطتها فى شهرها الرابع ... عملا بكلام

زوجها ...

المحقق : زوجها هذا الذى فى الحديقة ؟...

الخادمة : زوجها الأول المتوفى ...

المحقق : وزوجها الحاضر غير المتوفى لم ينجب منها أولادا ؟...

الخادمة : زوجها الحاضر هذا تزوجها وقد جاوزت الخمسين ... منذ تسع سنوات كانت قد قطعت الخلف ...

المحقق : وما دامت قطعت الخلف ... ولم تلد ... ولن تلد ... فلماذا تنسج لبنتها التى لم تولد ولن تولد ؟...

الخادمة : إنها تراها ولدت كل يوم ، وتولد كل يوم ...

المحقق : وهل هى تخرج من البيت كثيرا ؟...

الخادمة : قليلا ... فى النادر ... لشراء حاجة من الحاجات ...

المحقق : وتعود دائما ... دون تأخير ؟...

الخادمة : دون تأخير ... مسافة الطريق ...

المحقق : وهذه المرة خرجت ولم تعد ؟

الخادمة : لم تعد .

المحقق : منذ ثلاثة أيام ... قبيل المغرب تقريبا ؟...

الخادمة : نعم ... قبيل المغرب ...

المحقق : (**ينظر فى ساعته**) بعد ساعة يكون قد مضى على اختفائها نحو ثلاث ليال ونهار ...

الخادمة : لم يحدث لها هذا من قبل ...

المحقق : لم يحدث أن باتت ليلة فى الخارج ؟...

الخادمة : أبدا ... ولا نصف ليلة ...

المحقق : أأنت فى الخدمة هنا منذ زمن طويل ؟..

الخادمة : منذ تسع سنوات ... منذ زواجها من بهادر أفندى هذا ... وكان يومئذ فى الوظيفة ...

المحقق : وماذا تعرفين عن أحوال المختفية ؟...

الخادمة : الست بهانة معروفة فى الناحية ، ومنزلها الصغير هذا من أوائل المنازل المبنية فى ضاحية الزيتون كلها ... ورثته عن زوجها الأول السمسار ..

المحقق : أريد معلوماتك الشخصية عنها ...

الخادمة : معلوماتى الشخصية ؟...

المحقق : نعم ... ما تلاحظينه أنت شخصيا عليها ...

الخادمة : كل عقلها فى بنتها ...

المحقق : وسيدك ؟... بهادر أفندى ؟ ما رأيك فيه ؟...

الخادمة : كل عقله فى شجرته ...

المحقق : (**ناظر جهة الحديقة**) شجرته ؟.. هذه ؟...

الخادمة : وهل توجد غيرها ؟...

المحقق : حقا لا توجد غيرها ... فى هذا الشبر من الأرض الذى تسمونه الحديقة !... أظنها شجرة برتقال !؟...

الخادمة : نعم شجرة برتقال ... وفى أسفل جذعها المسكن العامر ...

المحقق : المسكن العامر ؟

الخادمة : نعم ... مسكن الشيخة خضرة !...

المحقق : الشيخة خضرة من ؟!...

الخادمة : السحلية إياها ... هكذا يسميها هو ... لم أرها أنا قط ... ولكنه هو يراها كل يوم ...

المحقق : وخلاف الشجرة والسحلية ماذا يعمل ؟...

الخادمة : لا شىء ... إنه الآن فى المعاش ... ترك السكة الحديد من خمس سنين ...

المحقق : وسيدتك ؟... ليس لها أقارب يمكن أن تذهب إليهم ؟...

الخادمة : لا ... أبدا ... مقطوعة من شجرة !...

المحقق : ولا معارف ؟

الخادمة : ولا معارف .

المحقق : أنت متأكدة ؟...

الخادمة : كل التأكد ... طول مدة وجودى هنا لم أبصر زائرا يزورهم ولا هم زاروا أحدا...

(**جرس التليفون يدق** ...)

المحقق : هذه إشارة تليفونية أنتظرها ...

الخادمة : (**هى تتحرك مسرعة**) لحظة واحدة !... سأحضر التليفون !...

(**تعود بعد قليل بجهاز ذو حبل طويل** .)

المحقق : (**فى التليفون**) ألو ... ألو !... نعم ... أنا ... هذا غريب !... ولا شىء على الإطلاق !... فى جميع أقسام البوليس ؟... أنتم واثقون ؟... كل المستشفيات ؟... والإسعاف ؟... بحث دقيق ؟ لا أثر ؟!... شكرا ...

(**يضع السماعة والجهاز فوق المنضدة** ...)

الخادمة : لم يجدوا أى أثر ؟!...

المحقق : لا .

الخادمة : مسكينة ... الست بهانة ...

المحقق : ألم يتصل بها أحد قبل اختفائها بهذا التليفون ؟...

الخادمة : أبدا ...

المحقق : وهى ؟... ألم تتصل بأحد ؟...

الخادمة : أبدا ... هذا التليفون من النادر استعماله ... منذ أحيل بهادر أفندى إلى المعاش ... طلب من المصلحة إدخاله وهو فى الخدمة ، عندما كانوا يستدعونه ليلا لورديات ، أو نهارا وهو فى الراحة لعمل مفاجئ . ومن يومها قلما أسمع جرسه يدق ...

المحقق : والعلاقة بين الزوجين ؟..

الخادمة : العلاقة ؟...

المحقق : نعم ... هل كانت بينهما مشاجرات مثلا أو مشاحنات أو خلافات ؟...

الخادمة : أبدا ... أبدا ... منذ وجودى هنا لم أرهما قط اختلفا على شىء ...

المحقق : لم يختلفا قط ؟

الخادم : ولا مرة .

المحقق : ولكن الحال بين الزوجين لا يخلو من ...

الخادمة : إلا الحال بين هذين الزوجين !...

المحقق : أهما إلى هذه الدرجة ؟...

الخادمة : نعم ... فى غاية الوفاق ... أتريد أن ترى بعينك كيف يعيشان ؟...

المحقق : بالطبع أريد ... لكن كيف يتسنى لى ذلك ؟...

الخادمة : الأمر بسيط ... انظر هناك وأنت تراهما ...

المحقق : أين ؟...

الخادمة : (**تشير بيدها**) هناك ... فى هذا الركن ... قرب النافذة المطلة على الحديقة ... ها هى ستى بهانة فى ثوبها الأخضر الذى لا تغيره ... تجلس على كرسيها المعتاد !...

(**تظهر بالفعل عندئذ الزوجة ... وهى فى نحو الستين ؛ شعرها أشيب ، وثوبها أخضر ، تحمل كرسيها وتجلس عليه ... وتأخذ فى شغل الإبرة تنسج ثوبا** ....)

الزوجة : (**تلتفت إلى حيث يفترض وجود النافذة**) اطلع يا بهادر !... اترك شجرتك الآن وادخل !... الجو

رطب !...

الزوج : (**وهو يدخل حاملا أدوات الحديقة**) أعرف ... عندما تبدأ الرطوبة فى الجو تدخل الشيخة خضرة مسكنها ... لكن الذى لا أعرفه هو أن الرياح اليوم ساكنة ، ومع ذلك تسقط بعض ثمار البرتقال !... ما الذى أسقطها ؟!.

الزوجة : (**وهى مشغولة بأعمال إبرتها**) أنا التى أسقطتها ... كانت أول ثمرة ... وأنا التى أسقطتها بيدى ... لم يكن وقتئذ يريدها ... بسبب الفقر ... لم يكن يملك شيئا بعد ... سوى دكان البقالة الصغير ... لم يكن بعد قد اشتغل بسمسرة الأراضى فى هذه الناحية المقفرة يومذاك ... قال لى : اصبرى !... لا تربكينى الآن بالخلف ...

الزوج : (**وهو ينظف أدوات الحديقة**) وهذا هو الذى يربكنى حقا : أن تكون الرياح اليوم ساكنة ومع ذلك ...

الزوجة : ومع ذلك سمعت كلامه وفعلتها ... فعلتها بنفسى ... وفى نفسى ... وهبت رياح السعد بعد ذلك ...

وجاء المال ... وأنشأنا هذا المنزل الصغير وهذه الحديقة ...

الزوج : هذه الحديقة لا تتعرض لمساقط الرياح ... ومع ذلك عندما أزهرت شجرة البرتقال خفت على الزهر ... لكن الله سلم ولطف ...

الزوجة : نعم الله سلم ولطف ... واجتزنا أيام الفقر ... وعندما جاء الفرج طلبنا الخلف ... لكن هيهات !... إنه السقط الأول ولا شك ... كان قد أثر فى رحمى ... نعم هو السقط الأول !....

الزوج : نعم ... هذا السقط الذى حدث ليس على كل حال بشىء ذى بال ... إنه لا يعدو أن يكون ثلاث أو أربع ثمرات من البرتقال الأخضر الصغير فى حجم البندقة ...

الزوجة : كان السقط فى الشهر الرابع ... كانت البنت قد تكونت وصارت فى حجم الكف ... إنى واثقة من ذلك ...

الزوج : نعم ... إنى واثق من ذلك ... لأن الأغصان كانت تتحرك ببطء شديد ...

الزوجة : نعم ... إنها كانت تتحرك فى بطنى ... شعرت بحركتها حركة بنت ... لأن حركة البنت يمكن أن تعرف ، ولأنى كنت أيضا أريدها بنتا ...

الزوج : أنا أيضا كنت أريد هذه الحركة البطيئة ... أو عدم الحركة على الإطلاق ... لأن الأغصان الساكنة تمنع الضرر عن الزهر أو الثمر فى المرحلة الأولى ...

الزوجة : نعم ... فى المرحلة الأولى من الحمل كنت أعرف الاسم الذى سأطلقه عليها : « بهية » وكنت أعرف أنها ستكون رائعة المنظر قوية البنية ... هذا شيء يمكن أن يعرف ... أليس كذلك ؟...

الزوج : بالطبع ... هذا شيء يمكن أن يعرف من منظر الثمار وهى معقودة كالعناقيد فوق غصنها ... قوية متماسكة كأنها مصممة على البقاء والنمو ...

الزوجة : النمو .. نعم ... يا ليتنى تركتها للنمو ... هل تعرف يا عزيزى لو كنت تركتها للنمو ما الذى كان سيحدث ؟...

الزوج : أعرف ما يحدث جيدا ... كلما ازداد النمو اشتدت الحاجة إلى التغذية الجيدة ...

الزوجة : نعم ... التغذية الجيدة ... وهذا ما كان يشغل بالنا فى ذلك الوقت ...

الزوج : وهذا ما يشغل بالى الآن ... لكى تنمو الثمار نموا عظيما لا بد من تسميد الشجرة بالسماد الجيد ... وأين لى بثمن السماد الجيد ؟... معاشى كما تعلمين يكاد يكفى نفقاتنا ... مفتش قطار أربعين سنة وأخرج بما يقينا شر الحاجة لا أكثر ... ولولا منزلك هذا الصغير الذى يؤوينا ... وهذه الحديقة الجميلة التى لا تتسع لأكثر من شجرة لما عرفنا للحياة طعما ... ومع ذلك فبحمد الله وبركته ما من برتقال فى أى شجرة أخرى يمكن أن ينمو مثل هذا النمو العظيم ...

الزوجة : إنى واثقة من هذا النمو العظيم !...

الزوج : أليس كذلك ؟... انظرى !... انظرى !... (**يشير إلى الشجرة**) ...

الزوجة : أعرف ... أعرف ... إنى واثقة من نموها العظيم ... لو أنى فقط تركتها ... انظر ... انظر !... ها هى فى يومها السابع ... وكأنها طفلة عمرها سنة ... ها هو

الاحتفال « بسبوعها » !... انظر ... انظر ...
الشموع !... الشموع !... اسمع !... اسمع !...
دق الهون !... دق الهون !... أتسمع ترديدهم :
« برجلاتك .. برجلاتك حلق دهب فى وداناتك »
« يارب ياربنا تكبر وتبقى قدنا برجلاتك ... برجلاتك »

(يسمع بالفعل صدى حفلة « سبوع » بكلماتها وصخبها ودق الهون ....)

الزوج : (**بعد انتهاء أصوات الحفلة**) جرس المحطات ... وجلبة الركاب ... وضجيج القطارات !... دائما فى أذنى !....

الزوجة : نعم فى أذنها ... رأيت الحلق الذهب فى أذنها ؟...

الزوج : فى أذنى ... نعم ... دائما هذا الضجيج !... وأنا الذى حسبت أنى استرحت بعد المعاش ...

الزوجة : لقد استرحت الآن حقا وأنا أشهد حفلة « سبوعها ». ما رأيك فى ثوبها الأخضر ... هذا الذى نسجته لها بيدى ؟... ألم يكن بديعا على جسمها الصغير ؟!...

الزوج : جسمها الصغير يكسوه دائما هذا الثوب الأخضر ..

صيفا وشتاء ... حتى عندما تتجرد الشجرة من ورقها الأخضر تظل هى متألقة فى اخضرارها وهى تهبط إلى مسكنها فى أسفل الشجرة ...

الزوجة : نعم ... نعم يا عزيزى ... ما أجمل بهية فى ثوبها الأخضر على جسمها الصغير !...

الزوج : إنى أراها دائما جميلة فى جسمها الصغير المكسو بالاخضرار ... وفى عينيها اللامعتين بهذا البرق العجيب !... إنها رائعة حقا الشيخة خضرة !...

الزوجة : نعم ... إنها رائعة حقا بنتى بهية !...

الزوج : نعم ... نعم ...

الزوجة : نعم ... نعم ...

(صمت عميق بين الزوجين)

المحقق : (**للخادمة**) أهما يتحادثان هكذا دائما ؟!...

الخادمة : نعم ... نعم ...

المحقق : نعم ... نعم ... (**للخادمة**) شكرا ... شكرا !...

الخادمة : أنصرف ؟!...

المحقق : انصرفى !...

(الخادمة تنصرف .. والمحقق يلتفت نحو الحديقة ...)

المحقق : (**مناديا**) يا سيد بهادر !...

الزوج : (**من الخارج**) أفندم !...

المحقق : تسمح لحظة ؟!...

الزوج : (**يظهر وهو ينفض يديه من تراب الحديقة**) مرة أخرى ...

المحقق : نعم ... بضعة أسئلة أخرى .

الزوج : قبل كل شيء عندى شيء أقوله ... شيء عجيب غريب ... فى غاية الغرابة ...

المحقق : شيء يتعلق طبعا بحادث الاختفاء ؟...

الزوج : نعم الاختفاء ...

المحقق : تفضل !... تكلم !...

الزوج : لقد اختفت ... أيمكن تصور هذا ؟!...

المحقق : هذا شيء معروف منذ أيام ...

الزوج : ولكنى لم ألاحظ ذلك إلا اليوم .

المحقق : لم تلاحظ اختفاء زوجتك إلا اليوم !

الزوج : لا أتكلم عن زوجتى .

المحقق : عمن إذن ؟!...

الزوج : عن الشيخة خضرة !...

المحقق : آه ... السحلية !...

الزوج : اختفت هى الأخرى ... اختفت !...

المحقق : كيف عرفت ؟...

الزوج : ليست موجودة فى الحديقة ...

المحقق : هل أنت واثق ؟

الزوج : كل الثقة ...

المحقق : كيف يمكنك التأكد ؟...

الزوج : لم أبصرها طول اليوم ... راقبت مسكنها .. لم تخرج ولم تدخل ... قطعا هى ليست موجودة فى مسكنها ... ولا فى الحديقة كلها ... هذه أول مرة يحدث فيها ذلك لها ... منذ .. منذ تسع سنوات ...

المحقق : وهل أنت تعرف هذه السحلية منذ تسع سنوات ؟!...

الزوج : نعم ... منذ تسع سنوات ... منذ وضعت قدمى فى هذا المنزل ... فى هذه الحديقة !...

المحقق : هى بذاتها ؟...

الزوج : نعم ... هى بذاتها ...

المحقق : وهل يمكن لسحلية صغيرة كهذه أن تعيش تسع سنوات ؟...

الزوج : لقد عاشت ... وإنى أعرفها وأراها كل يوم منذ سنوات ...

المحقق : ربما كانت سحلية أخرى ...

الزوج : لا توجد سحلية أخرى ... إنها هى بنفسها ... لم أبصر قط هنا سحلية أخرى ...

المحقق : ولكن من الممكن أن تبصر هنا سحلية أخرى ...

الزوج : لم يحدث قط ... لم أبصر غير هذه السحلية ... لن أبصر معها قط سحلية أخرى ... لم أبصر قط اثنتين معا ... إنها دائما واحدة .. هى ذاتها ... لم تتغير ... إنى واثق من ذلك ... إنها هى هى ... إنى أعرف حركاتها ونظراتها ولفتاتها ... وملامحها أيضا ...

المحقق : ملامحها ؟!...

الزوج : نعم ... ملامحها ... منذ تسع سنوات وأنا أتأملها كل يوم ... كيف لا أعرف ملامحها ... كيف

لا أصادقها ... لقد اعتدت وجودها ... اعتدت قربها ... إنى أحبها .

المحقق : تحبها ؟!...

الزوج : الآن نعم ... عندما ترى شيئا بقربك كل يوم ... على مدى تسع سنوات ... لا بد أن تعرفه وأن تحبه ... أليس كذلك ؟... لست أنكر : لم يكن الأمر كذلك عندما وقع نظرى عليها أول مرة ... يومذاك رأيتها قبيحة المنظر ، مرعبة تثير فى النفس التقزز ... هممت بقتلها ... ثم طرحت هذه الفكرة مؤقتا ... تركتها مؤقتا تعيش ... ثم صرت أراها كل يوم ... تخرج من مسكنها وتعود إليه فى أوقات منتظمة لم ألبث أن اعتدتها ... وهكذا ارتبطت بها ... ورتبت حياتى فى الحديقة على حياتها ونظامها وعاداتها ...

المحقق : هذا حقا عجيب ...

الزوج : نعم ... إنها أصبحت مخلوقا يمت إلى بصلة القرابة ... لا تعجب إذن أن يكون اختفاؤها مؤلما لى ...

المحقق : نعم ... نعم ...

الزوج : نعم ... كلما تذكرت اليوم أنى كنت سأقتلها يوما ما ... ولكن هذا طبيعى أن أقتلها يومذاك ... لأنى كنت أجهلها ...

المحقق : فكرة القتل إذن خطرت لك ؟!...

الزوج : فعلا ...

المحقق : وبأى شيء كنت ستنفذ القتل ؟...

الزوج : قتل من ؟... زوجتى ؟...

المحقق : زوجتك ؟!... أأنا ذكرت زوجتك ؟!... آه .... فليكن !... زوجتك إذن ... نعم زوجتك ؟...

الزوج : ولكن الحديث كان عن السحلية ..

المحقق : كفى الآن حديثا عن السحالى ... لنتحدث عن زوجتك ... هل شعرت يوما برغبة فى قتلها ؟...

الزوج : طبيعى ...

المحقق : ماذا تقول ؟!...

الزوج : أقول إن هذا شعور طبيعى ... ألم تفكر أنت يوما فى قتل زوجتك ؟...

المحقق : وأنت ؟... هل فكرت ؟...

الزوج : إنى أسألك أنت ...

المحقق : بل أنا الذى يسألك ...

الزوج : أجبنى أنت أولا ...

المحقق : أنا الذى يسأل وأنت الذى يجيب ... أرجوك !... لا تقلب الأوضاع !...

الزوج : يهمنى أن أعرف شعورك ...

المحقق : وأنا يهمنى أكثر منك وبحكم وظيفتى الرسمية أن أعرف شعورك أنت ... أرجوك ... أجبنى ... ألم تفكر يوما فى قتل زوجتك ؟...

الزوج : لماذا تريدنى أن أقتل زوجتى ؟...

المحقق : أنا لا أريد ... أنت الذى قلت ...

الزوج : ماذا قلت ؟...

المحقق : قلت إنه من الطبيعى أن تفكر فى قتل زوجتك ...

الزوج : نعم ... طبيعى بالنسبة لى ولك ...

المحقق : دعك منى الآن ... تحدث عن نفسك !...

الزوج : رأيى إذن أن هذا التفكير طبيعى عندما يضايقنى من زوجتى شيء ...

المحقق : وطبعا ضايقك منها شيء ؟...

الزوج : لا ...

المحقق : إنى أشك ...

الزوج : ولماذا تشك ؟...

المحقق : لأنى رأيتكما الآن بعينى ... وسمعتكما تتحادثان ...

الزوج : ألا تريد من زوجين أن يتحادثا ؟!...

المحقق : ليس هذا الطراز من الحديث !...

الزوج : وما المانع ؟...

المحقق : المانع أن هذا الشىء لا يمكن أن يحدث ...

الزوج : بالعكس ... هذا شىء يحدث دائما بين كل زوجين فى كل بيت ... عند الجميع ... عندك مثلا ...

المحقق : عندى ؟!... لا ياسيدى !...

الزوج : ألا يحدث هذا عندك ؟!...

المحقق : لو كان هذا يحدث عندى لكنت ...

الزوج : لكنت قتلت زوجتك ؟...

المحقق : لم أقل هذا ...

الزوج : بل قل !... قلها بصراحة ... كنت تقتلها ؟!...

المحقق : أقتل من ؟...

الزوج : زوجتك طبعا ...

المحقق : من فضلك ... نحن الآن فى زوجتك أنت ...

الزوج : وزوجتك ؟؟.

المحقق : يا سيدى أرجوك !... لا شأن لك بزوجتى ... زوجتى لم تزل فى منزلها بخير !...

الزوج : فليكن !... أنت إذن تعذرنى ... على الأقل !...

المحقق : أعذرك ؟...

الزوج : هذا هو مفهوم الكلام ...

المحقق : إذن أنت قتلتها بالفعل ...

الزوج : هل أنت متأكد ؟...

المحقق : تقريبا ...

الزوج : وهل تعرف أين جثتها ؟...

المحقق : هذه أنت بها أدرى بالطبع ...

الزوج : ليس من الصعب عليك أن تعرف ...

المحقق : أفضل أن تقول لى أنت ...

الزوج : المكان سهل وطبيعى جدا ... ويدهشنى أنك لم تعرفه !...

المحقق : أين ؟...

الزوج : خمن ؟...

المحقق : كيف أستطيع ؟...

الزوج : ألا تستطيع أن تعرف مكانا يصلح لوضع جثتها ؟!...

المحقق : (**ينظر حواليه**) أين ؟... قل لى أنت ؟!...

الزوج : قل شيئا على سبيل التخمين !...

المحقق : التخمين ؟!...

الزوج : نعم ... ألا يمكنك أن تخمن ؟!...

المحقق : أرجوك !... لسنا الآن فى مجال الفوازير !...

الزوج : غلب حمارك ...

المحقق : نعم ...

الزوج : (**مشيرا إلى الحديقة**) تحت الشجرة ...

المحقق : (**ملتفتا إلى جهة الشجرة**) شجرة البرتقال ؟!...

الزوج : ما من شك أن هذا يسرها ... أن يتحول جسدها كله إلى سماد ... سماد من نوع جيد ... يغذى هذه الشجرة ، فتنتج برتقالا عظيم الثمر ... وهى التى تهتم اهتماما بالغا بالنمو العظيم ...

المحقق : حقا ... كان يجب أن أهتدى إلى هذا ....

الزوج : قلت لك خمن وابحث قليلا وأنت تهتدى من تلقاء نفسك !...

المحقق : إذن أنت معترف ؟...

الزوج : معترف بماذا ؟...

المحقق : بأن جثتها مدفونة تحت هذه الشجرة ؟...

الزوج : ألست ترى معى أن هذا خير مكان لوضعها فيه ؟!...

المحقق : من حيث المكان هو بدون شك مكان جميل ...

الزوج : وسوف تتحول فيه إلى زهر يانع وثمر رائع ... أيمكن لجسد آدمى أن يطمع فى أحسن وأنفع من هذا ؟...

المحقق : من هذه الجهة صحيح ...

الزوج : إذن أنت من رأيى ؟...

المحقق : من حيث هذا التصور الشاعرى لا بأس ...

الزوج : اتفقنا إذن !...

المحقق : من حسن الحظ !...

الزوج : حقا إنه لمن حسن الحظ أن نكون متفاهمين هكذا فى النظر إلى الأشياء ...

المحقق : وبفضل هذا التفاهم استطعنا أن نصل إلى نتائج سريعة ، ما كان يحتمل الوصول إليها قبل أسابيع وربما شهور .

الزوج : الحمد لله !...

المحقق : على أن هذا النجاح يرجع الفضل فى معظمه إلى معاونتك !...

الزوج : معاونتى ؟...

المحقق : بدون شك ... وهل كان فى مقدور أحد أن يعرف مكان الجثة بهذه السرعة ؟!...

(**ينهض**)

الزوج : أتنصرف ؟!...

المحقق : أريد فأسا !... على بفأس !...

الزوج : فأس ؟!... تصنع بها ماذا ؟!...

المحقق : نحفر بها طبعا ...

الزوج : تحفر ؟!...

المحقق : نعم ... تحت هذه الشجرة ...

الزوج : تحفر تحت شجرة برتقالى ؟!... أجننت يا حضرة المحقق ؟!...

المحقق : إنى آسف ... ولكن هذا ضرورى ...

الزوج : وما وجه الضرورة ؟...

المحقق : لايمكن مباشرة عملنا إلا بالحفر ... هذا بديهى !...

الزوج : أتريد أن تتلف شجرتى ؟!... هل تعرف ماذا تعنى

هذه الشجرة بالنسبة إلى ؟...

المحقق : أعرف ...

الزوج : بل بالنسبة إلى حياتى كلها ؟!...

المحقق : أعرف ... ولكن المسألة تتعلق بجثة وجريمة قتل !...

الزوج : هى جثتى ... جثتى أنا ... والفأس التى تصيب جذع الشجرة ستصيب رقبتى ... أتفهم ذلك ؟... أتفهم ؟!...

المحقق : (**بعنف**) الفأس !...أين الفأس ؟...

الزوج : (**يحاول أن يجلسه**) إنك تقتلنى ... إنك ستقتلنى، إنك ترتكب جريمة قتل !...

المحقق : أنت المرتكب ! لجريمة قتل !... قتل زوجتك !...

الزوج : قتل زوجتى ؟!... ما هذا الجنون يا حضرة المحقق ؟!..

المحقق : ألم تعترف بذلك الآن ؟...

الزوج : أنا اعترفت ؟!....

المحقق : ألم تقل الآن إنك دفنتها تحت هذه الشجرة بعد أن قتلتها ؟!...

الزوج : لقد تحدثت عن الدفن ... ولكنى لم أتحدث

بعد عن القتل ...

المحقق : تقصد أنك دفنتها ولكنك لم تقتلها ؟...

الزوج : لم أقتلها ...

المحقق : ولكنك دفنتها ...

الزوج : هذه مسألة أخرى بينى وبينها ... ولكنى لم أقتلها ...

المحقق : ومن الذى قتلها ؟!!...

الزوج : أهى قتلت ؟...

المحقق : أنت أدرى ما دامت قد دفنت !...

الزوج : أهى حقا دفنت ؟...

المحق : اسمع !... كنت صبورا معك أكثر مما ينبغى ... وأفسحت صدرى أكثر مما ينبغى !... ولكنى الآن لم أعد أحتمل هذا العبث بى إلى هذا الحد ... أفاهم ؟...

الزوج : عد إلى هدوئك يا حضرة المحقق ... وثق كل الثقة فى حسن نيتى !... لنتحادث كما كنا نتحادث منذ لحظة بروح التفاهم ... وأنا على استعداد لمصارحتك بكل شىء ..

المحقق : وهو كذلك ... صارحنى بكل شىء ...

الزوج : قل لى أولا : لماذا تتهمنى بقتل زوجتى ؟!...

المحقق : أحوالك كلها تدل على ذلك ...

الزوج : ولماذا أقتلها ؟...

المحقق : لسبب واضح جدا : حياتك معها لا تطاق ...

الزوج : حياتى معها لا تطاق ؟...

المحقق : بدون شك ... لا يمكن أن تطاق حياة مع امرأة كهذه ...

الزوج : هذا رأيك أنت ...

المحقق : ورأى كل إنسان !... ما من شخص يستطيع احتمال الحياة مع مثل هذه المرأة ...

الزوج : ولكنى أنا أعيش معها فى راحة وهناء منذ تسع سنوات ... لم يحدث بيننا خلاف على شىء ...

المحقق : ولم يحدث بينكما اتفاق على شىء ...

الزوج : لم ألاحظ ذلك ...

المحقق : ولكنى أنا لاحظت ...

الزوج : ولكنى أنا لا أشكو من شىء ...

المحقق : عدم شكواك ليست دليلا على الرضا ...

الزوج : دليل على ماذا إذن ؟...

المحقق : على اليأس ...

الزوج : بالعكس ... أنا لا أعيش إلا بالأمل ...

المحقق : بأمل الخلاص من زوجتك ...

الزوج : ثق أنى لم أفكر فى الخلاص منها ...

المحقق : ليس من الضرورى أن تكون قد فكرت تفكيرا مباشرا صريحا ... يكفى أن تمر بخاطرك الفكرة فى لحظة من اللحظات ...

الزوج : ربما .. ولكنى سريع النسيان لخواطرى ...

المحقق : يخيل إليك ذلك ... ولكن الفكرة تبقى دائما ... كالبذرة تعمل عملها فى الخفاء ...

الزوج : وما هو هذا العمل الذى فى الخفاء ؟...

المحقق : البحث عن طريقة للخلاص ...

الزوج : الخلاص من زوجتى ؟... ولكنى لا أريد ذلك ...

المحقق : إنك تريد ... وتسعى لما تريد دون أن تشعر أو تجهر ...

الزوج : ولماذا أفعل ذلك ؟!...

المحقق : لأ نك زوج غير سعيد ...

الزوج : بل إنى زوج سعيد ...

المحقق : هذا غير صحيح ...

الزوج : أؤكد لك أنى سعيد ...

المحقق : وأنا أؤكد لك أنك غير سعيد ...

الزوج : كيف تؤكد لى ؟... هل الزوج أنت أو أنا !!؟..

المحقق : لا يهم ... هناك مقياس للسعادة الزوجية لا يكذب ...

الزوج : ما هو ؟...

المحقق : التفاهم ...

الزوج : ونحن متفاهمان ؟...

المحقق : هل هذا الذى رأيته وسمعته بينكما منذ لحظة يمكن أن يسمى تفاهما ؟!!..

الزوج : وماذا تسميه إذن ؟...

المحقق : أسميه ببساطة عدم تفاهم ...

الزوج : وأنا أسميه التفاهم ...

المحقق : لا يمكن أن يكون هذا هو التفاهم ...

الزوج : أنا وأنت إذن غير متفاهمين على التفاهم ...

المحقق : لأنك تسمى الأشياء بغير أسمائها ...

الزوج : لا تهمنى الأسماء ... أنا وزوجتى متفاهمان وبيتنا قائم على التفاهم ...

المحقق : هذا تزييف لمعانى الأشياء ...

الزوج : معانى الأشياء ؟!... ما هى هذه المعانى ؟.. أنت تريدنى أن أرى التفاهم أو السعادة كما تفهمها أنت لا كما أفهمها أنا ...

المحقق : كما يفهمها كل الناس ...

الزوج : وما شأنى أنا بكل الناس ؟... أنا أتكلم عن نفسى ... ليس كل الناس أزواجا لزوجتى ... أنا وحدى الزوج !...

المحقق : أنت إذن زوج سعيد ؟!...

الزوج : جدا ...

المحقق : وهى !... أهى زوجة سعيدة ؟!...

الزوج : جدا ...

المحقق : إذن لماذا تركت بيت الزوجية واختفت ؟!...

الزوج : هذا ما لا أعرفه ...

المحقق : أنا أقول لك ... هناك احتمالات كثيرة : إما أن تكون أصيبت فى حادث ... وهذا ثبت عدم وقوعه من

إفادات المستشفيات وأقسام البوليس ... وإما أن تكون اختطفت ... وهذا غير محتمل ... إذ من المجنون الذى يختطف امرأة عجوزا فقيرة لا تصلح لشىء ؟!... وإما أن تكون قد ذهبت إلى أحد الأقارب أو المعارف ... وهذا أيضا غير محتمل ... إذ ثبت عدم اتصالها بمعارف ولا أقرباء ... وإما أن تكون هناك جريمة قتل ... وأنت تنكر ذلك الآن ...

الزوج : طبعا أنكر ...

المحقق : طبعا ... إذن ما هو تعليلك لهذا الاختفاء ؟..

الزوج : لا أدرى له من تعليل ...

المحقق : لا بد أن يكون هناك تعليل ...

الزوج : وما هو التعليل لاختفاء الشيخة خضرة ؟...

المحقق : دعنا الآن من هذه السحلية ..

الزوج : هذا مهم جدا ... إذا وجدنا التعليل لاختفائها وجدنا التعليل لاختفاء زوجتى ؟...

المحقق : وما هى العلاقة ؟...

الزوج : هذا شىء يطول شرحه ...

المحقق : اشرح ...

الزوج : وما جدوى ذلك ... إنك لن تفهمنى ... إنك تفهم فقط ما تراه مفهوما لك ... ومهمتك أن تلقى أسئلة محددة المعنى ... وتريد أن تتلقى عنها أجوبة محددة المعنى ... وأنا منذ زمن طويل لم أوجه أسئلة إلى أحد ... و لم أنتظر إجابات من أحد ...

المحقق : حقا ... لم أرك وجهت سؤالا واحدا مباشرا إلى زوجتك ، ولا طالبتها بإجابة عن سؤال !...

الزوج : من هنا تدرك الصداع الذى يعترينى وأنا الآن فى موضع السؤال والجواب ...

المحقق : يؤسفنى أن أضعك هذا الموضع ... ولكن كيف تريد من محقق أن يحقق ويبحث بدون إلقاء أسئلة وانتظار أجوبة ؟...

الزوج : حقا ... إنى أرثى لك ولمهنتك !...

المحقق : هل هناك وسيلة أخرى للوصول إلى الحقيقة ؟...

الزوج : أى حقيقة ؟!...

المحقق : حقيقة هذا الاختفاء مثلا ....

الزوج : عليك أنت الوصول إلى هذه الحقيقة ... أنت المحقق وأنا مجرد الزوج ...

المحقق : زوج المختفية ... نعم ... ولكن أليس من الطبيعى أن يهتم زوج المختفية بمعرفة حقيقة اختفاء زوجته !!..

الزوج : إنى مهتم ...

المحقق : لا يبدو عليك ...

الزوج : ماذا تريد أن يبدو على !...

المحقق : القلق ... الاضطراب ...

الزوج : فقدت هذه العادة منذ زمن طويل ...

المحقق : أيمكن لإنسان أن يفقد عادة القلق والاضطراب !...

الزوج : نعم ... عندما يكون مفتش سكة حديد ثلاثين أو أربعين سنة ..

المحقق : ماذا تقصد !...

الزوج : أقصد أن مفتش القطار هو الوحيد بين الركاب الذى لا يعرف القلق والاضطراب لتأخر القطار أو وصوله أو عدم وصوله !...

المحقق : لكن لا بد أن يوجد شيء يثير قلقك واضطرابك ؟...

الزوج : أحيانا يزعجنى قليلا جرس المحطة وصفير القطار ... خصوصا عندما أكون نائما أو شبه نائم ...

المحقق : فقط جرس المحطة وصفير القطار ؟...

الزوج : وخصوصا صفير القطار ...

المحقق : هذا غريب !...

الزوج : (**يتسمع بأذنه**) اتسمع !... هـا هـو صفير القطار !...
أسمعت ؟...

المحقق : لا ...

الزوج : كيف لم تسمع ... القطار قادم ... هناك ... ألا تراه !...

المحقق : أين ؟...

الزوج : (**يشير إلى جهة من المسرح**) هناك !... انظر !... انظر !...

المحقق : (**ينظر حيث أشار له**) نعم ... نعم ...

الزوج : رأيته !...

المحقق : (**ناظرا**) نعم ... ها هو القطار حقا ...

(**يسمع صوت صفير قطار وضجيج حركته ....**)

الزوج : سأبدأ بعد قليل فى التفتيش على التذاكر ...

المحقق : (**ناظرا إلى حيث أشار له**) لست أراك ...

الزوج : لم أظهر بعد ... ستراني بعد لحظة ...

(**يظهر فى تلك الجهة من المسرح موظف بردائه الرسمى ، يحمل جزءا من نافذة قطار يقيمه ، ثم يأتى بكرسى يجلس عليه إلى تلك النافذة ، ويأخذ فى التثاؤب ...**)

المحقق : (**ناظر إليه**) من هذا ؟...

الزوج : هذا مساعد المفتش ... مساعدى ... إنه موظف كسول كما ترى ... يحلو له الجلوس والنوم قرب النافذة ... ولولا رقابتى الشديدة لتهاون فى واجبه أكثر من ذلك !...

المحقق : وأين أنت إذن ؟...

الزوج : أؤدى واجبى بالطبع ...

المحقق : أين ؟!...

الزوج : فى القطار نفسه ... فى عربة أخرى ولا شك . مسئولياتى جسيمة وتحتاج منى إلى يقظة دائمة !...

المحقق : طبعا ...

الزوج : (**مشيرا بيده إلى القطار**) ...هأنذا أظهر لأفاجئ حضرة المساعد يغط فى النوم !...

المحقق : (**ناظرا**) حقا ... هذا أنت بردائك الرسمى !...

(يظهر المفتش وهو بهادر أفندى بردائه المصلحى ... يبدو منه ظهره فقط ... أما صوته فمن الضرورى أن يكون هو نفس الصوت ينبعث من المكانين المختلفين فوق المسرح ......)

المفتش : **(يدق بكماشة على ظهر الكرسى)** نائم ؟... يا حضرة المساعد ؟!...

المساعد : **(ينهض مباغتا)** حضرة المفتش ؟...

المفتش : هل أيقظتك من أحلامك الجميلة ؟!...

المساعد : لم أكن أحلم !...

المفتش : هذا شأنك ... الحلم أو عدم الحلم ... الواقع هو أنك كنت نائما !...

المساعد : لم أكن نائما ... جلست أستريح فقط منذ لحظة !...

المفتش : ما علينا ... دعنا من هذا الآن ... تممت على كل عربات القطار ؟!...

المساعد : نعم ... تمام يا أفندم !...

المفتش : وبلغتنى بالنتيجة ؟!...

المساعد : بلغت يا أفندم !...

المفتش : فى أى وقت حصل هذا ؟...

المساعد : من ربع ساعة ...

المفتش : وأين كنت أنا ؟!...

المساعد : فى ديوان خال بالدرجة الأولى ...

المفتش : وهل أشرت لك بإمضائى ؟...

المساعد : لا ياأفندم !...

المفتش : والسبب ؟..

المساعد : خفت أوقظ حضرتك ؟...

المفتش : توقظنى !... وهل أنا كنت ... نائما ...

المساعد : كنت تنظر من النافذة ...

المفتش : إذن لم أكن نائما ...

المساعد : كنت تعد الشجر الذى يهرب من القطار ؟...

المفتش : هل سمعتنى ؟...

المساعد : نعم ... كنت تقول : أريد هذه الشجرة ... وهذه ... وهذه ... وهذه ... أمسكوا لى شجرة من هذه الأشجار الهاربة من القطار ... هذه واحدة ... وهذه الثانية ... وهذه الثالثة .. وهذه الرابعة ... وهذه الخامسة ... وهذه ... وهذه » وهكذا وهكذا ...

المفتش : سمعت كل هذا ؟...

المساعد : ليس اليوم فقط يا حضرة المفتش !...

المفتش : تقصد أفعل ذلك كل يوم ...

المساعد : نعم ... كل يوم ...

المفتش : أنت إذن تتجسس على ؟!...

المساعد : لم أفعل ذلك عن قصد ...

المفتش : ولماذا لم تنبهنى ؟...

المساعد : حاولت ولكن حضرتك كنت فى حالة ...

المفتش : حالة ماذا ؟...

المساعد : انسجام ... أقصد استغراق !...

المفتش : ما علينا !... هات تقريرك !...

(المساعد يقدم تقريره إلى المفتش ... وعندئذ يعلو صوت من بعيد لمجموعة من الصبية تنشد ....)

صوت الصبيان : (**عن بعد**) ياطالع الشجرة هات لى معاك بقرة تحلب وتسقينى بالمعلقة الصينى إلخ إلخ ...

المفتش : (**للمساعد**) ما هذا ؟!...

المساعد : رحلة مدرسية فى الدرجة الثانية ...

المفتش : كم العدد ؟...

المساعد : مائة تلميذ ... العدد موضح بالضبط هنا فى الورق ...

المفتش : (**يراجع الورق**) أهذا الرقم الأخير هو كل الركاب ؟؟...

المساعد : نعم ... كل ركاب القطار ...

المفتش : جميعهم بتذاكر ؟...

المساعد : نعم ...

المفتش : لم تضبط راكبا بدون تذكرة ؟...

المساعد : لا ... ما عدا ...

المفتش : ماعدا ؟!!...

المساعد : ما عدا ذلك الدرويش ...

المفتش : درويش ؟...

المساعد : نعم ... رجل من الدراويش لم أجد معه تذكرة ...

المفتش : واتخذت ضده الاجراءات ؟...

المساعد : لا ...

المفتش : والسبب ؟...

المساعد : تكلم بكلام لم أفهمه ...

المفتش : وهل هذا سبب لعدم اتخاذ الاجراءات ؟...

المساعد : انتظرت لحين عرض أمره على حضرتك ...

المفتش : ولماذا لم تعرض أمره ؟...

المساعد : كنت على وشك أن أفعل ...

المفتش : متى ؟... بعد قيامك من النوم ؟...

المساعد : ليس قيامى أنا ...

المفتش : أرجوك ... كلف خاطرك ورح أحضره إلى هنا بسرعة !...

المساعد : بسرعة ... (**يذهب**)

المفتش : وقاحة !... (**يجلس على الكرسى وينظر من نافذة القطار وينشد** ...)

ياطالـــع الشجـــرة هـات لى مَعك بقـرة

يـــا طالـــع البقـــرة هات لى معك شجرة

هات لى معك شجـرة هات لى معك شجـرة

(**المحقق يهمس للزوج** ...)

المحقق : إنك تقلب الكلمات على هواك !...

الزوج : الكلمات تخرج من فمى على هواها ...

المحقق : عن غير وعى منك ؟...

الزوج : إنى كما ترى أنظر من النافذة ولا أفكر فى شىء ...

المحقق : ولكنك تنظر إلى الشجر ...

الزوج : حقا ...

المحقق : ها هو المساعد يعود إليك بالرجل ...

الزوج : نعم ...

(**المساعد يظهر ومعه الدرويش** ....)

المساعد : أحضرته يا حضرة المفتش !...

المفتش : (**للدرويش**) أنت راكب من أى محطـــة يـا سى الشيخ ؟...

الدرويش: لم أركب من محطة ...

المفتش : تقصد إنك ركبت أثناء الطريق ؟...

الدرويش: طبعا ...

المفتش : كان القطار واقفا أو متمهلا ؟...

الدرويش: بل كان سائرا كالعادة ...

المفتش : عجبا !... واستطعت أن تركب أثناء السير ؟...

الدرويش: طبعا مثل كل الناس ...

المفتش : مثل كل الناس ؟... وهل كان الناس يركبون أثناء السير ؟...

الدرويش: وينزلون أيضا أثناء السير ...

المفتش : أى نوع من الناس هذا ؟...

الدرويش: كل الناس ...

المفتش : وأين تذكرتك ؟...

الدرويش: موجودة ...

المفتش : (**يمد يده**) من فضلك ؟...

الدرويش: (**يخرج ورقة**) تفضل !...

المفتش : (**يطلع عليها**) هذه شهادة ميلاد ...

الدرويش: شهادة ميلادى ...

المفتش : ولكنى أريد تذكرة ركوبك ...

الدرويش: هذه تذكرة ركوبى ....

المفتش : أريد تذكرتك التى تركب بها القطار ...

الدرويش: هى تذكرتى التى أركب بها القطار ...

المفتش : أى قطار ؟...

الدرويش: القطار الأصلى ...

المفتش : أى قطار أصلى ؟...

الدرويش: القطار الأصلى ... الذى قام قبل هذا القطار الفرعى ... ألا تعرف ذلك ؟!...

المفتش : اسمع ... أنا لا أفهم هذا الكلام ... أعطنى تذكرتك

التى تركب بها قطارى هذا ...

الدرويش: وإذا لم أعطك التذكرة ...

المفتش : نتخذ ضدك الإجراءات ...

الدرويش: وما هى الإجراءات !...

المفتش : دفع ثمن التذكرة مع الغرامة ...

الدرويش: وإذا لم يكن معى نقود ؟...

المفتش : أنزلك من القطار فى أول محطة وأسلمك إلى ناظرها ...

الدرويش: وماذا سيصنع بى ناظرها ؟...

المفتش : يسلمك للبوليس ...

الدرويش: وماذا يصنع بى البوليس ؟

المفتش : يحرر لك محضر مخالفة ويقدمك للمحاكمة ...

الدرويش: وبماذا تنتهى المحاكمة ؟...

المفتش : بالحكم عليك بغرامة ...

الدرويش: وإذا لم أدفع الغرامة ؟...

المفتش : توضع فى الحبس ....

الدرويش: وماذا أفعل فى الحبس ؟...

المفتش : لا تفعل شيئا ...

الدرويش: أنا الآن لا أفعل شيئا ...

المفتش : تريد إذن أن أتخذ ضدك الإجراءات ؟...

الدرويش: ولماذا تتخذ ضدى الإجراءات ؟...

المفتش : لأنك راكب بدون تذكرة !...

الدرويش: هل تريد تذكرة ؟...

المفتش : نعم ...

الدرويش: تذكرة واحدة ؟

المفتش : بالطبع واحدة ... لأنك راكب واحد ...

الدرويش: إليك عشر تذاكر !...

(يمد يده خارج النافذة فى الهواء ويقبض على عشر تذاكر يقدمها إلى المفتش ...)

المفتش : (**فى دهشة**) ما كل هذا ؟

الدرويش: أنظر فيها جيدا ... أليست تذاكر حقيقية ؟...

المفتش : (**يفحص التذاكر العشر متعجبا**) حقا ... حقا ... إنها كلها حقيقية ... لكن ... من أين أتيت بها ؟...

الدرويش: هذا شأنى ...

المفتش : و ... ماذا أفعل بكل هذه التذاكر ؟...

الدرويش: ألم تطلب تذكرة ؟... ها هى تذاكر ...

المفتش : (**وهو يرد تسعا منها**) تكفى واحدة فقط ... أما الباقى ؟...

الدرويش: الباقى وزعه على من لم يحمل واحدة من ركاب القطار ...

المفتش : لم يكن يوجد غيرك لا يحمل تذكرة ...

الدرويش: إذن أنت لست فى حاجة إلى التسع الباقية ؟...

المفتش : لا ...

الدرويش: ردها إلى إذن !...

المفتش : (**يردها إليه مأخوذا**) ؟...

الدرويش: (**يلقى بها من النافذة**) هأنذا أرجعها إلى حيث جاءت ...

المفتش : ومن أين جاءت ؟...

الدرويش: هذا شأنى ...

المفتش : ولكن هذا عجيب ؟...

الدرويش: هذا فى غاية البساطة ... والإتيان بتذاكر قطارك هذا هو من أبسط الأمور ... (**يضحك**) تذاكر قطارك هذا ... بسيطة ... بسيطة !...

المفتش : أنت رجل مبارك ... مكشوف عنك الحجاب ...
هل تسمح لى بالجلوس قليلا إلى جوارك ؟...

الدرويش: لا تلق على أسئلة !... ولكن اطلب منى ما تشاء !...

المفتش : هل تعرف ماذا أطلب من حياتى ؟...

الدرويش: (**ينشد**)

ياطالـــع الشجـــرة هـات لى معاك بقـرة
تحلب وتسقينـــــى بالملعقـــة الصينـــى

المفتش : يظهر إنك عرفت ...

الدرويش: العارف لا يعرف ...

المفتش : إذن لا حاجة بى إلى الشرح ...

الدرويش: هناك فى ضاحية الزيتون ...

المفتش : ضاحية الزيتون ؟...

الدرويش: هناك سوف تجد ...

المفتش : أجد ماذا ؟...

الدرويش: الشجرة ... فى الشتاء تطرح البرتقال ... وفى الربيع
المشمس ... وفى الصيف التين ... وفى الخريـف
الرمان ...

المفتش : شجرة واحدة ؟...

الدرويش: واحـدة كل شىء واحـد ... هنـاك : الشجـرة ،
والبقرة ، والشيخة خضرة ... كل شىء أخضر ...
كل شىء أخضر ...

المفتش : كل شىء أخضر ؟!... هذا كلام مطمئن ...

الدرويش: إلى حين ...

المفتش : أو ترى شيئا مكدرا ؟...

الدرويش: لا تلق على أسئلة !... قلت لك لا تلق على أسئلة !...

المفتش : هناك سؤال لا بد لى من أن ألقيه عليك : هل تسمح
أن أكون من مريديك ؟...

الدرويش: لماذا ؟...

المفتش : لأنى أشعر وأنا فى جوارك بالطمأنينة ...

الدرويش: أنت لست فى حاجة إلى الطمأنينة ... من يركب
القطار دون انتظار لمحطة وصول ... هـو دائمـا
مطمئن ...

المفتش : هذا صحيح ... ولكن ؟...

الدرويش: ولكنك تكثر النظر من النافذة ... فترى الأشجار
عندئذ تفر ...

المفتش : هذا صحيح أيضا ولكن ؟...

(**القطار يصفر** ....)

الدرويش: عملك يدعوك يا حضرة المفتش ...

المفتش : بدأت أسأم هذا العمل ... خمسة وثلاثون عاما فى القطار ... أليس لى الحق أن أسأم !؟...

الدرويش: ولكن القطار لا يسأم ...

المفتش : لأنه لا يعرف ما هو السأم ...

الدرويش: إنه يعرف فقط السير ... السير ... السير ... السير ... السير ... السير ... أليس من الخير لك أن تكون قطارا ؟!...

المفتش : لقد كنت قطارا ...

الدرويش: عندما كنت طفلا ؟...

المفتش : نعم ...

الدرويش: و لم تشعر بالسأم ؟...

المفتش : لا ...

الدرويش: نعم ... ما أحلى تلك الأيام التى كنا فيها قطارات !...

المفتش : كان يمسك بعضنا بأذيال بعض ... ونظل طول اليوم نسير فى الطرقات ... نصفر وننفث الدخان من أفواه

صغيرة ... ولكنها لا تتعب ...

الدرويش: القطار لا يتعب ... ولكن الركاب هم الذين يتعبون ...

المفتش : وعندما كبرنا لم نعد نصلح لأن نكون قطارات .

الدرويش: وبدأ التعب وبدأ السأم !...

المفتش : نعم ...

الدرويش: انهض إلى عملك يا حضرة المفتش ...

المفتش : ألا تريد أن أبقى معك وأتحدث ؟...

الدرويش: إلى عملك يا حضرة المفتش ... إلى عملك !...

(**الزوج للمحقق** ....)

الزوج : لماذا يضيق بى هذا الرجل ؟...

المحقق : اسكت أنت ... حتى أسمع ردك عليه !...

الزوج : ولكنى لن أرد ... إنى أتأهب للقيام إلى عملى ...

المحقق : بالعكس ... إنك تتأهب للكلام ... انظر !...

الزوج : حقا ... ولكن ماذا يمكن أن أقول الآن ؟...

المحقق : هذا شيء لا تعرفه أنت ... ولكنه هو يعرفه ... أقصد أنت ...

الزوج : أنا لا أعرفه ... وأنا أعرفه ؟!...

المحقق : هأنتذا تتكلم ...

الزوج : أنا لم أتكلم ... ليس عندى ما أقول ...

المحقق : هناك .. انظر .. انظر ... إنك تتكلم !...

(**المفتش يتكلم** ...)

المفتش : يا سيدنا الشيخ ... أنقذنى ... أنقذنى بربك !...

الدرويش: أنقذك ؟...

المفتش : نعم ... أنقذنى من شخص يزعجنى ...

الدرويش: إنه معك دائما ...

المفتش : نعم ...

الدرويش: لا تفهم ما يريد أحيانا ...

المفتش : لا أفهم ما يريد ...

الدرويش: ولكنه يزعجك ...

المفتش : يزعجنى ويخيفنى وأخشى أن يضلنى يوما ...

الدرويش: أعرف ... أعرف ...

(**المحقق للزوج** ....)

المحقق : من هذا الشخص الذى يزعجك وتخشى أن يضلك يوما ؟...

الزوج : لا أدرى ...

المحقق : ولكنك أنت الذى تقول ذلك ؟....

الزوج : لست أدرى لماذا أقول ذلك ...

المحقق : ولكن الدرويش يعرف فيما أرى ...

الزوج : لا شك أنه يعرف ...

المحقق : ما السبيل إلى التحقق من هذه النقطة ؟!...

الزوج : لست أدرى ما هو السبيل ...

المحقق : لو أمكننا سؤال هذا الدرويش ...

الزوج : أتريد سؤاله ؟...

المحقق : لا شك فى استطاعته أن يلقى ضوءا ...

الزوج : إنه يستطيع ... ما فى هذا شك ...

المحقق : وأين هو الآن ؟...

الزوج : (**مشيرا إلى جهة القطار**) أمامك ... فى القطار !...

المحقق : وكيف تأتى به ؟...

الزوج : إذا شئت استدعيناه ... ولكن القطار يسير الآن كما ترى ...

المحقق : والحل ؟...

الزوج : ننتظر قليلا حتى يقف القطار فى أول محطة !...

(الدرويش للمفتش فى القطار)

الدرويش: لماذا تريد استدعائى أمام البوليس ؟...

المفتش : أنا أريد ذلك ؟... لم تعد هناك حاجة ... تذكرتك معك ...

الدرويش: أنت تريد ذلك ...

المفتش : لماذا ؟...

الدرويش: لست أدرى بالضبط ... ربما من أجل شهادة ...

المفتش : شهادة ؟...

الدرويش: شهادة فى قضية ...

المفتش : تخصنى أنا ؟...

الدرويش: نعم ... تخصك ...

المفتش : متى ذلك ؟...

الدرويش: لا أعرف بعد ...

المفتش : ولكنى أنا الآن معك هنا ...

الدرويش: ليس هنا ...

المفتش : أين إذن ؟...

الدرويش: هناك ... فى ضاحية الزيتون ...

المفتش : ضاحية الزيتون ؟...

الدرويش: فى منزلك ... منزل زوجتك ...

المفتش : زوجتى ... ولكنى لم أتزوج بعد ؟!...

الدرويش: لا داعى لانتظار وقوف القطار فى أول محطة ... يحسن أن أذهب إليك ... هناك ...

(الدرويش ينهض من مكانه ويغادر القطار تاركا المفتش متعجبا لا ختفائه ...)

المفتش : يا سيدنا الشيخ ... يا سيدنا الشيخ ... أين ذهب ؟!... أين اختفى ؟!!....

(يطل من نافذة القطار باحثا عنه .. ولكنه يكون فى طريقه بخطى المتردد المتلمس إلى ناحية المحقق والزوج ... فى حين يسمع صفير القطار المنصرف وضجيجه ... ثم اختفاء المفتش و النافذة والكرسى ... ولا يبقى فى المكان كله إلا المحقق أمام منضدته والزوج ... ثم الدرويش وهو يقترب منهما فى خطى بطيئة ..)

الدرويش: سلام عليكم !...

المحقق : وعليكم السلام ورحمة الله !...

الدرويش: طلبتم استدعائى ...

المحقق : نعم ...

الزوج : جئت بغاية السرعة ياسيدنا الشيخ !...

الدرويش: لم أر داعيا لإطالة انتظارك !...

الزوج : (**تاركا مقعده للدرويش**) تفضل هنا يا سيدنا الشيخ !...

الدرويش: (**ناظرا حوله**) أهذا هو المنزل ؟...

الزوج : نعم ...

الدرويش: (**يلتفت جهة الحديقة**) والشجرة هناك ؟!...

الزوج : نعم ...

الدرويش: (**مشيرا إلى المحقق**) وحضرته من رجال البوليس ؟...

الزوج : نعم ...

الدرويش: تشرفنا !...

المحقق : نحن فى حاجة إلى معاونتك ....

الدرويش: أنا فى الخدمة ...

المحقق : هل لديك معلومات فى الموضوع ؟...

الدرويش: أى موضوع ؟...

المحقق : اختفاء زوجته ؟...

الدرويش: (**للزوج**) فعلتها إذن !؟...

الزوج : ماذا تقصد ؟...

الدرويش: أنت فاهم قصدى ...

الزوج : لا ... أرجوك يا سيدنا الشيخ نحن الآن أمام محقق ... وكل كلمة منك يمكن أن تفسر تفسيرا قد لا تقصده ...

الدرويش: صدقت ...

المحقق : فعل ماذا ؟...

الدرويش: هل قلت إنه فعل شيئا ؟!...

المحقق : قلت له « فعلتها إذن ؟ » ... فعل ماذا ؟...

الدرويش: لا تلق على أسئلة ... اطلب ما تريد ولا تلق على أسئلة !...

المحقق : إنى محقق ... ولكى أحقق لا بد من أن ألقى أسئلة !...

الدرويش: لا شأن لى بتحقيقك ... إذا أردت منى شيئا اطلبه ولا تلق أسئلة !...

المحقق : أريد إذن رأيك فى اختفاء زوجته ... هذا طلب وليس سؤالا ...

الدرويش: زوجته ...

المحقق : نعم .. أطلب رأيك فى اختفائها ...

الدرويش: زوجته ... إما أنه قتلها ... وإما أنه لم يقتلها بعد ...

الزوج : (**صائحا**) ما هذا الذى تقول يا سيدنا الشيخ ؟...

الدرويش: هل قتلتها ؟...

الزوج : أنا ؟!... حاشا لله ياشيخ !...

الدرويش: إذن لم تقتلها بعد ؟...

الزوج : ما هذا الكلام يا رجل ؟!...

المحقق : رأيك إذن يا سيدنا الشيخ أنه قتلها ؟...

الدرويش: إما أنه قتلها وإما أنه لم يقتلها بعد ...

المحقق : مصيرها القتل عن كل حال إذن ؟...

الدرويش: نعم ...

المحقق : بيد زوجها هذا ؟...

الدرويش: نعم ...

المحقق : (**للزوج**) ما قولك الآن ؟...

الزوج : (**صائحا**) هذا رجل دجال ، كذاب عابث ، مخرف ...

المحقق : ولكنك كنت حتى هذه اللحظة تثق فيه ... وتود أن

تكون من مريديه ...

الزوج : إنه يتهمنى زورا ... بدون مبرر ...

المحقق : لا بد أن لديه المبرر ...

الزوج : لا مبرر سوى أنه يحقد على لأنى كنت قد طالبته بالتذكرة !...

المحقق : ليست هذه ضغينة جدية ... ومع ذلك فقد أبرز لك بدل التذكرة عشر تذاكر ...

الدرويش: قل له يا حضرة المحقق .. قل له !...

الزوج : لماذا تتهمنى بقتل زوجتى ؟..

الدرويش: لست أتهم ... إنى أرى ؟...

الزوج : ترى أنى قتلتها ...

الدرويش: إن لم تكن قد قتلتها ... فستقتلها ...

الزوج : ترى ذلك ؟...

الدرويش: نعم ...

الزوج : ولماذا لم تخطرنى برؤياك هذه عندما تقابلنا فى القطار ؟...

الدرويش: لم أكن قد رأيت ذلك بعد ...

الزوج : ولكنك رأيت لى ضاحية الزيتون والشجرة والزوجة ؟!...

الدرويش: نعم رأيت ذلك ...

الزوج : ولم تر القتل ؟...

الدرويش: لم يكن القطار قد وصل بى إلى حيث أرى أبعد مما رأيت ..

الزوج : أى قطار ؟...

الدرويش: قطارى ..

الزوج : إنك تخلط يا سيدنا الشيخ ...

الدرويش: إنى لا أقول إلا ما أرى ... وإذا رأيت فإنى أقول ...

الزوج : ولماذا أقتل زوجتى ؟؟...

المحقق : اسمح لى ... هذا ما لا شأن لشاهد بالإجابة عنه ... إن الأسباب الدافعة إلى ارتكاب الجريمة يمكن أن توجد فى كل وقت ... وعلى كل صورة ..

الزوج : إنى أحب زوجتى ..

المحقق : وتحب الشجرة أكثر منها ...

الزوج : إنها لم تكن تشكو من ذلك ...

المحقق : ولكن الشجرة كانت تشكو من قلة الغذاء ...

الزوج : ماذا تعنى ؟...

المحقق : أنت الذى كان يقول ذلك منذ حين ...

الزوج : لست أفهم ما ترمى إليه ...

المحقق : دعنا الآن من كل هذا ... ولنتحدث فى خصائص الشجر ... ولنشرك سيدنا الشيخ فى الموضوع ... إنه لا شك يعرف عنه الكثير ...

الدرويش: بل القليل ...

المحقق : يكفينا قليلك يا سيدنا الشيخ ... إذا طلبت إليك رأيك فى طريقة تنمو بها شجرة البرتقال مثلا ... نموا عظيما ...

الدرويش: يقال إن هناك شجرة تطرح البرتقال فى الشتاء ، والمشمش فى الربيع ، والتين فى الصيف ، والرمان فى الخريف ...

الزوج : شجرة واحدة تطرح كل ذلك ؟!!...

الدرويش: نعم ... شجرة واحدة ...

الزوج : شجرة واحدة تجمع بين كل هذه المتناقضات ... أهذا معقول ؟ ... أيمكن أن يحدث هذا ؟!!... اشهد يا حضرة المحقق ... هذا الرجل يعبث ... وأين توجد هذه الشجرة ؟..

الدرويش: فى أى مكان شئت ... ربما كانت شجرتك هذه ؟..

الزوج : شجرتى هذه ... شجرة البرتقال هذه يمكن أن تفعل هذا ؟!...

الدرويش: ألا تعرف هذا ؟... ألم أحدثك عن هذا فى القطار !؟!...

الزوج : حسبتك تمزح وتعبث ...

الدرويش: إنى لا أأعرف المزاح والعبث ...

الزوج : شجرتى هذه يمكن أن تطرح كل هذه الفاكهة المختلفة فى الفصول المختلفة ؟...

الدرويش: إذا تغذت بالسماد الذى تعرفه ...

الزوج : أى سماد تعنى ؟...

الدرويش: إذا دفن تحتها جسد كامل لإنسان ... فإنها تتغذى بكل ما فيه من متناقضات ...

الزوج : لم أكن أعرف ذلك ...

المحقق : بل كنت تعرف ...

الزوج : ربما سمعت منه أو من غيره شيئا كهذا ... ولكنى لم ألق إليه بالا ...

المحقق : يكفى أن يتسرب إلى نفسك شيء منه ...

الزوج : فليكن ... ما النتيجة التى تريد الوصول إليها ؟...

المحقق : أظن سبب الجريمة بدأ يتضح ...

الزوج : أفصح من فضلك يا حضرة المحقق ؟!...

المحقق : الأمر لم يعد يحتاج إلى إفصاح .. اعترف .. هذا خير لك ..

الزوج : أعترف بماذا ؟...

المحقق : بأنك قتلت زوجتك ودفنتها تحت هذه الشجرة ؟!..

الزوج : لكى تتغذى بها الشجرة ، وتطرح فى الشتاء البرتقال ، وفى الربيع المشمش ، وفى الصيف التين ، وفى الخريف الرمان !؟...

المحقق : إنه هدف لا بأس به عل كل حال ...

الزوج : هل تظننى لو فعلت ذلك أعتبر حافظا لكامل قواى العقلية ؟...

المحقق : مسألة قواك العقلية من اختصاص المحكمة ... هى التى تفحصها ... أما مهمتى فهى التحقيق فى الجريمة ... والحصول على اعترافك ... وخير لك أن تعترف ... خصوصا بعد شهادة الشاهد ...

الزوج : أى شاهد ؟..

المحقق : هذا الشيخ المحترم ...

الزوج : هذا الرجل الذى جاءنا من الهواء ...

المحقق : من الهواء ... من الفضاء ... إنه أدلى بشهادة يمكن الاعتماد عليها ...

الزوج : قتلت زوجتى لأغذى الشجرة ؟!... هذا السبب الخرافى غير المعقول ، هل يمكن أن يخطر على بال إنسان فى عصرنا الحاضر ؟!..

المحقق : أعندك سبب آخر جدير بعصرنا الحاضر ؟! ... إنى مستعد لسماعه والأخذ به !...

الزوج : بل أنا المستعد لسماع أى سبب معقول ... أو على الأقل غير خرافى يمكن أن يدفع إنسانا عصريا لقتل زوجته ولا بأس عندئذ من إسناده إلى ...

المحقق : تريد أن تعرف لماذا يقتل الإنسان العصرى زوجته ؟...

الزوج : نعم ... أذكر لى أهم الأسباب ... وأنا أختار منها ما يحلو لى ...

المحقق : خذ عندك ياسيدى : أولا الخيانة الزوجية ...

الزوج : هذه مستبعدة ... أنا فى الخامسة والستين وامرأتى فى الستين ... وليس فى أحدنا مطمع ...

المحقق : ثانيا : الطمع فى الثروة ...

الزوج : هذه أيضا مستبعدة ... إنها فقيرة ... لا تملك غير هذا المنزل الصغير جدا كما ترى ... ومن السخف أن أقتلها من أجله ... ولا ضرورة لذلك على الإطلاق ...

المحقق : ثالثا : عدم توافق الطباع ...

الزوج : هذا ليس سببا يدعو إلى القتل ..

المحقق : بالعكس ... هذا من أهم الأسباب للقتل العصرى ... ألم تسمع عن قضية قتل فيها الزوج زوجته خنقا لأنها تحب دائما إلقاء الأسئلة ؟... وزوجة دست السم لزوجها لأنه يرفض دائما إبداء رأيه فى تسريحة شعرها ؟..

الزوج : زوجتى لا تسألنى ولا أسألها فى شىء ... وقد رأيت بعينك ... وليس لى أو لها شعر يستحق التسريح أو إبداء الرأى فيه !...

الدرويش: (**للزوج**) اطمئن !... إن القتل عندك هو لسبب عصرى جدا ...

الزوج : وبعدها لك يا سيدنا الشيخ !!...

الدرويش: كل غرضى هو إدخال الاطمئنان إلى قلبك .. السبب

عندك يتمشى مع فلسفة العصر !...

الزوج : فلسفة العصر ؟!... .

الدرويش: إن القتل لأسباب فلسفية شيء مألوف فى عصرنا الحديث ...

الزوج : أنا قتلت زوجتى لأسباب فلسفية ؟!.. هذا هو الشيء الذى كان ناقصا حقا يا سيدنا الشيخ !...

الدرويش: اطمئن !... اطمئن !...

الزوج : إنى مطمئن جدا ... ولكن أحب أن ألفت نظرك إلى أنى لا أعرف من كلمة الفلسفة إلا ما يتداوله عامة الناس ... لا تنس أنى لست أكثر من مفتش قطار !... و لم أقرأ فى حياتى كتابا غير جدول السكة الحديد ... وبعض القصص البوليسية !...

المحقق : القصص البوليسية ؟!...

الزوج : تقع فى يدى أحيانا ... أجدها متروكة سهوا على بعض المقاعد ... بعد أن يكون قد فرغ من قراءتها أحد المسافرين ...

المحقق : إذن أنت تقرأ القصص البوليسية ؟...

الزوج : وما الضرر ؟...

المحقق : لا ... لا شيء ... كل شيء بدأ يتضح ...

الزوج : ما هو الذى بدأ يتضح !؟... إنى لست أنكر ...

المحقق : لست تنكر ؟...

الزوج : نعم ... لست أنكر أنى أقرأ القصص البولسية ، ولكنى لم أقرأ الكتب الفلسفية ...

المحقق : لا تهمنى الكتب الفلسفية ...

الزوج : ولكن سيدنا الشيخ يزعم أنى قتلت بسبب الفلسفة ...

الدرويش: فلسفة العصر ...

الزوج : (**للمحقق**) أسمعت ؟... ها هو ذا يكررها ...

الدرويش: فلسفة العصر موجودة فيك ... وفلسفة الشجرة موجودة فيها ...

الزوج : فلسفة الشجرة ؟...

الدرويش: نعم ...

الزوج : وما هى فلسفة الشجرة ؟...

الدرويش: تنتج ولا تسأل ... تنتج زهرا لا تشمه ، وثمرا لا تأكله ... ولا تسأل لماذا ؟... لا يعذبها السؤال جواب لن تتلقاه أبدا ...

الزوج : حقا ... هذا شيء جميل من الشجرة ... ولكن ... ما دخلي أنا فى هذا ؟...

الدرويش: إنك لست شجرة ...

الزوج : هذا بديهى ...

الدرويش: ولذلك ستقتل زوجتك إن لم تكن قتلتها ؟...

الزوج : هل فهمت شيئا يا سيدى المحقق ...

المحقق : لم أفهم بالضبط ... ولكن المهم على كل حال هو أن فضيلة الشاهد يقرر ويكرر أنك قتلت زوجتك ...

الزوج : إنكم تضيقون الخناق على رقبتى لإثبات التهمة على !...

المحقق : التهمة ثابتة من نفسها ... وخير لك أن تعترف ...

الزوج : أنى قتلت زوجتى ؟...

المحقق : على فكرة ... قتلتها بأى شيء ... كيف تم القتل ؟... بآلة حادة ؟... أو بالسم أو بـ ...

الزوج : كله إلا السم ...

المحقق : لا بأس !... لا بأس ... هدئ نفسك ... وسيلة القتل سيكشفها الطبيب الشرعى عند تشريح الجثة ... لا داعى أن تذكرها ... إنى مراع لشعورك ...

الزوج : لو أنكم فقط ذكرتم لى سببا معقولا يبرر قتلها ؟...

المحقق : دعك من السبب المعقول ... كل جرائم القتل لها ما يبررها فى أعين مرتكبيها ... سواء كان الدافع معقولا أو غير معقول ...

الزوج : (**ضاحكا فجأة**) كله إلا السبب الفلسفى ؟!.

المحقق : وأنا غير متمسك بهذا السبب ...

الزوج : ولكن سيدنا الشيخ فيما يظهر متمسك به ؟!..

المحقق : مع احترامى لآراء سيدنا الشيخ فأنا أعدك بعدم ذكر أى أسباب لا تعجبك فى محضر التحقيق ... اتفقنا ؟...

الزوج : اتفقنا ...

المحقق : (**ينهض**) هلم بنا إذن !...

الزوج : إلى أين ؟...

المحقق : إلى الحبس ...

الزوج : الحبس ؟!.. لماذا ؟...

المحقق : لأنك بالطبع مقبوض عليك ...

الزوج : ستقبض على ؟!...

المحقق : يؤسفنى أن أفعل ... ولكن هذا إجراء لا بد منه !...

الزوج : أنت جاد حقا ؟!...

المحقق : بالطبع جاد ... أتظن أنى جئت هنا لأمزح معك أم لأقوم بأعمال وظيفتى ؟...

الزوج : ولكنى لم أرتكب شيئا يستحق الحبس !..

المحقق : إذا كنت ترى أن قتل الزوج لزوجته شيء لا يستحق الحبس فهو رأى قد يكون له احترامه ، ولكنه على كل حال ليس رأى القانون ....

الزوج : ولكنى يا حضرة المحقق ...

المحقق : كفى !... التحقيق طال أكثر مما ينبغى ... ويحسن أن تضع نفسك تحت تصرف العدالة بكل هدوء ... هذه خير نصيحة أقدمها إليك !...

الزوج : خير نصيحة تقدمها إلى ؟...

المحقق : نعم ... وأرجوك أن تسمع نصيحتى !... سلم نفسك !...

الزوج : أسلم نفسى !...

المحقق : وبدون تردد ... هذا خير لك !... اسمع نصيحتى !...

الزوج : (**يلتفت إلى الدرويش**) أيرضيك هذا يا سيدنا الشيخ ؟!..

الدرويش : لا تسألنى !... قلت لك أن لا تلقى على أسئلة !...

الزوج : ولكن هذا ظلم !...

الدرويش : هل أنصرف يا حضرة المحقق ؟...

المحقق : إذا شئت ... مع جزيل الشكر !....

الدرويش : (**للزوج منصرفا**) إلى اللقاء يا حضرة المفتش إنى عائد إلى القطار ...

الزوج : لعنة الله عليك وعلى من دعاك !...

المحقق : ما دمت مصرا على موقفك فلأتخذ إذن إجراءاتى ... (**يتجه إلى جهة الباب وينادى**) يا عسكرى !

العسكرى : (**يسمع صوت دق حذائه بالتحية فى الخارج دون أن يرى**) .

المحقق : احجز هذا المتهم فى قسم البوليس ... وأحضر من يحفر تحت هذه الشجرة لا ستخراج الجثة !...

الزوج : (**صائحا**) ستحفرون تحت شجرتى !... ستقتلون الشجرة !... ياقتلة !... يا قتلة !...

القسـم الثـانى

(نفس المكان .. المحقق واقف حيث يطل على الحديقة ، ويشرف على عملية الحفر ، ويحادث حفارا غير ظاهر ... وفى الجانب الآخر الخادم العجوز تحادث لبانا غير ظاهر ، كما لو كان ذلك من نافذة تطل على الطريق ....)

المحقق : (**للحفار الذى فى الحديقة**) طبعا تحت الشجرة ! ... نعم ... نعم ...

الحفار : (**يسمع صوته دون تبين كلامه**) ،...

المحقق : الاتجاه ؟!... حقا هذا ما لا أستطيع أن أدلك عليه ... إنى مثلك لا أعرف !...

الحفار : (**صوت غير مفهوم**) ؟..

المحقق : صدقت ... ربما كان رأيك صائبا ... احفر حول الشجرة كلها ... لا تتعمق كثيرا فى مبدأ الأمر ... ربما تعثر على شيء يحدد لك الاتجاه ... وعندئذ ... ماذا تقول ؟...

الحفر : (**كلام غير مفهوم**) ؟...

المحقق : فعلا ... فعلا ... بالجاروف أولا ... وكن حذرا عند استخدام الفأس حتى لا تهشم شيئا من الجثة !...

الحفار : **(صوت غير مفهوم)** ؟...

المحقق : لا ... لا ... بالطبع ... إنى واثق من خبرتك ..

الحفار : **(كلام غير مفهوم)** ؟...

المحقق : نعم !... هكذا ... استمر ... استمر ... استمر ...

(المحقق يتابع عملية الحفر بحركة من رأسه تساير الجاروف فى حركاته ...)

الخادمة : (**للبان**) لا ... لا تحضر اللبن بعد اليوم ... لمن تحضره ؟..

اللبان : **(صوت فى الخارج غير مفهوم)** ...

الخادمة : أليس كذلك ... ها أنت قد عرفت كل شيء من الجيران ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : لا يوجد غير البوليس ... يستخرجون الجثة من الحديقة ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : نعم فى الحبس ..

اللبان : ؟ ...

الخادمة : لا يدرى أحد لماذا قتلها ؟...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : ولا أنا ... ربما كان يكرهها ... الناس أسرار ... وما فى القلب فى القلب ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : ماذا تقول ؟..

اللبان : ؟ ...

الخادمة : آه .. هذا شيء بسيط ... البيت فيه آلات كثيرة من فأس وجاروف ومقص حدائق ... ضربة على الرأس من واحدة منها تكفى ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : والله كان طيب القلب ... وهى أيضا ... لكن الناس أسرار !..

اللبان : ؟ ...

الخادمة : من قال لك هذا ؟... لا ... كذب ... لم يكن عندها مال حتى يطمع فيها ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : لا ... ولا مصاغ

اللبان : ؟ ...

الخادمة : امرأة أخرى ؟... لا ... هذا الكهل ليس فى سن الطيش ... وإن كان هناك حب فهو لا يحب إلا شجرته ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : اعترف ؟... نعم ... قال فى التحقيق إنه قتلها ودفنها تحت الشجرة ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : مصير المنزل ؟.. سمعت حضرة الضابط يقول إنه سيغلق ويختم عليه بالشمع الأحمر ..

اللبان : ؟ ...

الخادمة : أنا ؟... مصيرى ؟... لا أدرى والله ما مصيرى ؟... كرهت خدمة البيوت ... هذا البيت كان فلتة من الفلتات ... لا أطفال ولا ضجيج ... وسيدة البيت تقوم بنفسها بأكثر العمل ولا تحتاج إلى إلا فى الغسيل ومسح البلاط .. وتتركنى بعد انتهاء عملى أعود إلى منزلى .. لذلك مكثت فيه عدة سنوات فى أتم راحة .. لكن ليست كل البيوت كهذا البيت ...

وها هو أخيرا هذا البيت ينتهى بجريمة ويغلق ويختم عليه بالشمع الأحمر !...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : ماذا تقول ؟.. عندك لى عمل ؟.. أين ؟...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : لا ... لا أحب الشغل فى المستشفيات ...غسالة فى مستشفى المبرة ؟... أعوذ بالله ! أظل طول النهار أغسل ملابس مقرفة ملوثة بكافة الأمراض ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : صدقت ... لنا رب فى السماء ؟ ربنا يتولانا جميعا بعنايته ... ماذا ؟

اللبان : ؟ ...

الخادمة : كم بالضبط ؟...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : أهذا حساب متأخر ؟...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : لا علم لى ... لم تقل لى الست ... أقصد المرحومة ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : لا من فضلك ... قبل مقتلها بيوم قالت لى إن حساب اللبن خالص ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : متأكدة ألف مرة ... سمعتها بأذنى ... قالت لى بعظمة لسانها : يكون فى معلومك أن حساب اللبن خالص ... وليس علينا متأخرات ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : وماذا أعمل بورقة حسابك ... احفظها معك ... ومن الذى يطلع عليها الآن ويناقشك فيها !...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : علمى علمك ....

اللبان : ؟ ...

الخادمة : أجرك على الله !...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : الحال من بعضه ... أنا أيضا لم أقبض بقية الشهر ... لكن ما باليد حيلة !.... أطالب من ؟... سيدى الذى فى الحبس ؟... أو سيدتى المدفونة تحت الشجرة ؟....

اللبان : ؟ ...

الخادمة : البوليس ؟... الحكومة .؟... يوم الحكومة بسنة وأنت سيد العارفين ... خليها على الله !... مسألتنا بسيطة على كل حال وقضا أخف من قضا ...

اللبان : ؟ ...

الخادمة : مع السلامة ...

(الخادمة تتجه إلى حيث المحقق ... وهو لا يلقى بالا إليها ويستمر فى متابعة عملية الحفر فى الحديقة ...)

المحقق : (**للحفار**) ألم تعثر بعد على شىء ؟...

الحفار : ؟ ...

المحقق : ماذا تقول ؟... على وشك أن تصل ؟... هل أنت على عمق كاف ...

الحفار : ؟...

المحقق : استمر إذن !... وبحذر ...

الخادمة : (**وهى تتابع الحفر**) على مهلك من فضلك ... حتى لا تشوه بفأسك وجهها !... للأموات حرمة !....

المحقق : (**يلتفت إلى الخادمة**) كنت تحادثين شخصا من النافذة ؟...

الخادمة : اللبان ... كان فى الشارع ...

المحقق : كنت تقولين له إن المتهم قتل زوجته بضربة فأس أو جاروف أو مقص !.. كيف عرفت ذلك ؟...

الخادمة : وهل أنا أعرف شيئا أو رأيت بعينى شيئا ... هذا مجرد تخمين ...

المحقق : ولماذا اتجه فكرك وتخمينك إلى هذا بالذات ؟...

الخادمة : وكيف يقتلها إذن ؟...

المحقق : هل سبق أن هددها أمامك بآلة من هذه الآلات ؟...

الخادمة : أبدا ... ولا حتى بالكلام ...

المحقق : إذن أنت ترين أن الطريقة الطبيعية لقتلها هى استخدام آلة من الآلات ...

الخادمة : لأنها تحت يده دائما ... ويعمل بها فى الحديقة كل يوم وينظفها بنفسه كما رأيت !...

المحقق : (**يلتفت إلى الحفر**) سنرى بعد قليل على كل حال ... طريقة القتل ستظهر فى الجثة بكل وضوح ...

(**طرق على الباب الخارجى**)

الخادمة : هذا طرق على الباب الخارجى ..

المحقق : من يمكن أن يكون ؟...

الخادمة : ربما الجزار أو البقال ... هل أذهب لأرى ؟...

المحقق : اذهبى !...

الخادمة : (**تجيب الطارق وهى تسرع إلى الباب**) مهلا ... ها أنا قادمة !....

المحقق : (**ملتفتا إلى الحفار**) احفر ... احفر ... استمر ...

(**الخادمة فى الخارج تطلق صيحة رعب هائلة** ....)

الخادمة : (**تظهر مهرولة نحو المحقق**) عفريتها ... أنجدونى !...

المحقق : (**للخادمة**) ماذا جرى لك ؟!...

الخادمة : هى ... هى ... المقتولة ... سيدتى ...

(**الزوجة تظهر بملابس الخروج مندهشة** ....)

الزوجة : (**للخادمة**) ما هذا الجنون ؟!... ماذا جرى لك ؟!... لماذا تصيحين هكذا ؟....

المحقق : (**فى دهشة وذهول**) أهى ؟...

الخادمة : (**للمحقق**) نعم ... هى بعينها ...

الزوجة : (**للخادمة**) ماذا جرى ؟... من حضرته ؟....

الخادمة : (**لسيدتها**) ألست مقتولة ؟...

الزوجة : هل جننت ؟... إنها بدون شك مجنونة ؟...

المحقق : حضرتك ؟... (**يتفرس فى وجهها**) نعم ؟... أنت حقا ؟...

الزوجة : أنا صاحبة البيت ... وحضرتك ؟...

المحقق : أنا ... بوليس ...

الزوجة : بوليس ... خيرا ؟... هل حصل شىء ؟...

المحقق : حصل أننا ... أنك ...

الزوجة : أنى ماذا ؟... ما هو الموجب لحضور البوليس فى بيتنا ؟... أين زوجى ؟...

المحقق : زوجك يا سيدتى فى ... الحبس ...

الزوجة : فى الحبس ؟...

المحقق : ظننا أنك مقتولة ....

الزوجة : مقتولة ؟...

المحقق : اختفاؤك جعل الظنون ...

الزوجة : اختفائى ؟... إنى حقا كنت متغيبة ... لكن ... هل كل من يتغيب عن بيته تظنون أنه ...

المحقق : إذن ... كان مجرد تغيب ؟...

الزوجة : طبعا ...

المحقق : لكن زوجك ؟...

الزوجة : زوجى ... أين زوجى ... قلت فى الحبس ؟...

المحقق : نعم ... لكن اسمحى لى أصحح الخطأ فى الحال فورا ...

الزوجة : هذا أمر فى غاية العجب !... بأى حق يوضع فى الحبس ؟!... إنه رجل طيب ... ولم يرتكب خطأ قط فى حياته ...

المحقق : أرجوك ... أرجوك ... لحظة واحدة !.... أين التليفون ؟...

(**يتجه بسرعة إلى حيث يوجد التليفون** ....)

الزوجة : هذا غريب !... كل هذا غريب !...

المحقق : (**فى التليفون**) آلو ... آلو ... اسمع ... إنى أتكلم من بيت الجريمة ... نعم ... نعم ... ضاحية الزيتون ... اسمع ما أقوله لك ... لا توجد جريمة ... يجب إطلاق سراح المتهم فورا ... بالطبع ... لم يكن هناك قتل ... متأكد طبعا ... مائة فى المائة يا سيدى الفاضل لا يوجد قتل ... أتسمعنى ؟... كيف

أتأكد ؟.. لأن القتيل موجودة أمامي حية ... أقصد المجنى عليها ... قصدى التي كنا نظنها ... نعم ... نعم ... كانت متغيبة فقط ... المهم ... يجب الإفراج فورا عن الزوج ... بأسرع ما يمكن ... وهو كذلك ... إنى هنا فى الانتظار ...

(**يضع السماعة** ...)

الزوجة : (**للخادمة**) ماذا بك ؟... أخبرينى ... لماذا تنظرين إلى هكذا ؟.... أمرك عجيب ... لم أرك بهذه الحالة من قبل ... ما هذا الوجه الأصفر ؟؟؟...

الخادمة : لا تؤاخذينى يا ستى ... إنى كنت ... كنت ...

الزوجة : إنى لا أفهم ... لست أفهم بعد شيئا مما يجرى هنا ....

المحقق : سأفهمك يا سيدتى ... استريحى لحظة !... سأفهمك !...

الحفار : (**ينادى من الحديقة**) يا حضرة الضابط ...

المحقق : ماذا ؟ وجدتها ...

الحفار : (**فى الخارج**) لم أجدها بعد .... هل أستمر ؟...

المحقق : بل قف ... إنها موجودة هنا الآن ...

الحفار : الجثة ؟...

المحقق : هس !... اسكت ... أترك كل شيء الآن وانصرف !... ولا لزوم الآن لذلك ... انصرف ... أرجوك ... بسرعة !...

الزوجة : (**ناظرة إلى الحديقة**) من هذا الرجل ؟... وماذا كان يفعل فى الحديقة ... عجبا ؟!... من الذى حفر هكذا تحت شجرة البرتقال ؟... إن زوجى سيغضب غضبا شديدا ...

المحقق : نحن فى شدة الأسف يا سيدتى ... لكن ...

الزوجة : لكن لماذا هذا الحفر تحت شجرة البرتقال ؟...

المحقق : كنا نحاول البحث !...

الزوجة : البحث ؟ عن أى شيء ؟...

المحقق : عنك ... لا تؤاخذينا !...

الزوجة : عنى ؟... تبحثون عنى تحت هذه الشجرة ؟!...

المحقق : كنا نحسبك مدفونة تحتها ... غيابك بدون إخطار ... جعل الشكوك تحوم حول هذا الأمر ...

الزوجة : مدفونة تحت هذه الشجرة ؟...

المحقق : حسبنا أنك قتلت ودفنت هنا ...

الزوجة : ومن الذى يقتلنى ويدفننى هكذا ؟...

المحقق : اتجه الظن إلى زوجك ..

الزوجة : زوجى ؟... زوجى يفعل هذا لى ؟... لماذا ؟...

المحقق : القرائن والشبهات ... ثم ... اعترافه ...

الزوجة : اعترافه ؟... اعترافه بماذا ؟...

المحقق : لم يعترف صراحة ... ولكن تفوه بكلام يمكن أن يؤخذ على أنه شبه اعتراف ...

الزوجة : اعتراف بماذا ؟...

المحقق : بأنه قتلك ودفنك تحت هذه الشجرة ؟...

الزوجة : أهو قال إنه قتلنى ودفننى ؟... لماذا يكذب ؟ لماذا يقول ما لم يحدث ؟...

المحقق : الحقيقة أن هذا شيء غير مفهوم ...

الزوجة : وما هو السبب الذى يمكن أن يدفعه إلى التفكير فى قتلى ؟...

المحقق : الواقع أننا لم نتوصل إلى سبب مقنع ...

الزوجة : إننا زوجان متحابان ...

المحقق : أعرف ....

الزوجة : لم يقع بيننا خلاف قط ...

المحقق : أعرف هذا أيضا ...

الزوجة : وكيف عرفت ؟...

المحقق : هو الذى قال لى ...

الزوجة : قال لك إننا متحابان و لم يقع بيننا قط خلاف ؟...

المحقق : نعم ... قال ذلك ....

الزوجة : وبرغم هذا قال إنه قتلنى ؟...

المحقق : لم يقلها صراحة ... ولكنى كدت أفهم من أقواله أنه ارتكب جريمة ...

الزوجة : أما كان يمكن أن تفهم من أقواله شيئا آخر ؟...

المحقق : شيئا آخر ؟...

الزوجة : إنى أفهم دائما من أقواله شيئا آخر ...

المحقق : الواقع إنى ...

الزوجة : لم تفهم إذن جيدا ما يقول ...

المحقق : يجوز ...

الزوجة : لعلك فهمت شيئا آخر غير ما قال ؟ ....

المحقق : يجوز ...

الزوجة : إذن هو لم يقل شيئا عن القتل والدفن ؟...

المحقق : يجوز ...

الزوجة : إذن كيف قبض عليه ووضع فى الحبس ؟...

المحقق : حقا .. كيف تم ذلك ؟... لكن انتظرى ... انتظرى .. كان هناك الشاهد ...

الزوجة : أى شاهد ؟...

المحقق : الدرويش ؟...

الزوجة : درويش ؟... من هذا ؟...

المحقق : رجل يعرف كل شيء ويرى كل شيء ... شهد أن زوجك قتل زوجته ودفنها تحت هذه الشجرة ...

الزوجة : شهد بذلك ؟... شهد بأنه قتلنى ودفننى ؟... ومن أين جاء هذا الرجل ؟...

المحقق : جاء من القطار ...

الزوجة : من أى قطار ؟...

المحقق : من الهواء .. أقصد ... كان فى القطار ... مع زوجك فى القطار ... ثم ناديناه فترك زوجك فى القطار يفتش ، وجاءنا هنا وجلس معنا أنا وزوجك فى هذا المكان !...

الزوجة : ما هذا الخلط !... هل تفهم ما تقول ؟!...

المحقق : لا ...

الزوجة : ولا أنا ... لا أفهم ...

المحقق : الواقع أنى لا أفهم ما كنت أقول ... يبدو أنه كلام لا معنى له ...

الزوجة : طبعا ....

المحقق : ومع ذلك حصل ... كل هذا حصل ... جاءنا الدرويش وقال كلاما كثيرا ووافق عليه زوجك ... لم يوافق عليه كله بالطبع ... ولكن القرائن والشبهات كانت قوية ضده !...

الزوجة : إنك اعترفت الآن بأن كلامك لا معنى له ، فكيف تكون القرائن والشبهات قوية ؟...

المحقق : الواقع أن كل شيء وقتئذ بدا وكأن له معنى ... ولست أدرى لماذا انهار كل هذا الآن ...

الزوجة : إذن لو لم أعد فى الوقت المناسب لما انهار شيء فى نظرك ؟...

المحقق : بالطبع ...

الزوجة : ولكان زوجى قد بقى فى الحبس ؟...

المحقق : بالطبع ...

الزوجة : وقدم إلى المحكمة وحكم عليه ؟...

المحقق : بالطبع ...

الزوجة : وربما كان حكم عليه بالإعدام من أجلى وأنا على قيد الحياة ؟!...

المحقق : يجوز ...

الزوجة : وكنت أنت تظل طول حياتك مستريح البال تعتقد أن قرائنك وشبهاتك ودرويشك وشهادته وكل هذا الخلط ، ولا تؤاخذنى ، أشياء حقيقية لها معنى ... أليس كذلك ؟...

المحقق : حقا ...

الزوجة : أتعجبك هذه النتيجة ؟...

المحقق : إنى معذور يا سيدتى ... معذور ... زوجك مسئول معى ... نعم زوجك نفسه ساعدنى على إقامة هذه الصورة غير الحقيقية للحادث ...

الزوجة : زوجى نفسه ساعدك ؟...

المحقق : مساعدة عجيبة !... لقد كان بيننا فى بعض الأحيان شبه تعاون ... تعاون وثيق على البحث ... وهل كنت أعرف هذا الدرويش ؟... إنه هو الذى أتى به إلى هنا ...

الزوجة : إن زوجى لم يقابل أحد منذ خمس سنوات ... منذ أن

ترك الخدمة وتقاعد ...

المحقق : أعرف ذلك ... لكنه كان التقى بالدرويش فى القطار عندما كان لا يزال فى الخدمة ...

الزوجة : وكيف أتى به إليك هنا الآن ؟...

المحقق : ناداه من هنا ، وهو فى القطار فلبى النداء ...

الزوجة : لبى النداء ؟!...

المحقق : يظهر أنه سمع نداء زوجك من هنا ، فترك زوجك فى قطاره يفتش هناك ، وجاء يحادثنا أنا وزوجك هنا ...

الزوجة : معقول !...

المحقق : أليس كذلك ؟... إذن أنت ترين ذلك معقولا ؟...

الزوجة : بدون شك ... هل أنت عندك شك ؟!...

المحقق : لا ولكن ... أخشى أن تكونى ... غير مصدقة !...

الزوجة : وما الداعى إلى عدم التصديق ؟...

المحقق : ربما مثلا ... ترين فى هذا الكلام ...

الزوجة : شيء من الخلط ؟!...

المحقق : مثلا !...

الزوجة : ما دمت مصرا على أن هذا حصل ...

المحقق : أقسم لك أنه حصل ... أقسم بشرف وظيفتى !...

الزوجة : لا تقسم !... إن هذا قد حصل فعلا ...

المحقق : حصل فعلا ؟!... إذن أنت مصدقة ؟!...

الزوجة : كل التصديق ...

المحقق : ولكنك كنت تكذبين منذ لحظة ، وترميننى بالخلط ؟!...

الزوجة : لأنى كنت أتكلم حسب عقلى !...

المحقق : والآن ؟...

الزوجة : حسب ما حصل ...

المحقق : ثقى كل الثقة أن هذا حصل ...

الزوجة : إنى واثقة ... بل إنى مستعدة لأن أرى كل ما تراه ... كل ما كنت تراه أنت وزوجى ... كان القطار هناك !... ألم يكن القطار يمر من هذه الناحية ؟... (**تشير إلى مكان القطار**) ...

المحقق : بالضبط !...

الزوجة : نعم ... وكنت أنت وزوجى فى الناحية الأخرى ؟... (**تشير إلى مكان**) .

المحقق : بالضبط !...

الزوجة : وجاءكما الدرويش من هنا ... (**تشير إلى الجهة**)

المحقق : بالضبط ... بالضبط !...

الزوجة : إنى أرى كل هذا الآن !...

المحقق : إذن كل شىء كان حقيقيا ؟!...

الزوجة : طبعا ...

المحقق : وكان له معنى !...

الزوجة : طبعا ...

المحقق : إذن ما من شىء انهار ... كل ما أقمناه صحيح ...

الزوجة : طبعا صحيح ... كل هذا صحيح ... لأن كل هذا حصل ... ولكن يوجد شىء آخر أيضا قد حصل ...

المحقق : ما هو ؟...

الزوجة : إنى عدت ... حصل أنى الآن قد عدت ...

المحقق : حقا .... هذا حصل ... إنك عدت ... بالسلامة !... وعندئذ يجب أن يتغير كل هذا .. وأن نصنع شيئا آخر وهذا هو ما فعلته دون إبطاء .. ألم أتصل فعلا بالتليفون لإطلاق سراح زوجك فورا ؟!... وعما قليل نراه هنا ؟...

الزوجة : أهو فى الطريق الآن إلى هنا ؟..

المحقق : يجوز ...

الزوجة : أخشى أن يكون الحبس قد أثر فى صحته ...

المحقق : إنه لم يقض فيه وقتا طويلا ...

الزوجة : لم يسبق للمسكين أن حبس ...

المحقق : إن الحبس لدينا على كل حال ليس متعبا إلى هذا الحد ... ومن كان مثله يراعى عادة ويوضع فى مكان مريح ...

الزوجة : إنه اعتاد الهواء الطلق ..

المحقق : يوجد نوافذ فى الحبس ...

الزوجة : النوافذ التى اعتاد النظر منها تطل على أشياء تتحرك ...

المحقق : ولكنه منذ أن ترك الخدمة ، وتقاعد هنا لم يعد يرى شيئا يتحرك .. .

الزوجة : إنه يرى الشجرة تتحرك ...

المحقق : نعم ... الشجرة ...

الزوجة : (**ناظرة إليها**) لماذا فعلتم بها هذا ؟... إنه سيحزن حزنا شديدا ...

المحقق : لم يكن من هذا بد ... ومع ذلك أعتقد أنها لم تصب بسوء ... جذورها سليمة ...

الزوجة : أرجو ذلك ... إنها حياته ...

المحقق : أعرف ... رأيت ذلك بعينى ...

الزوجة : ماذا رأيت ؟...

المحقق : رأيته هنا وهو يحادثك ... إنه لم يكن يحادثك ... إنه كان يتحدث عن الشجرة ...

الزوجة : هو ؟... إنه ما تحدث قط عن الشجرة ...

المحقق : ولكنى سمعته بأذنى ..

الزوجة : ربما سمعت خطأ يا سيدى ... أنا التى كنت أحادثه عن الشجرة ... وأحادثه دائما عنها ... لأنى أعرف أنه يحبها ...

المحقق : بل كنت أنت تتحدثين عن ... ابنتك ...

الزوجة : ابنتى ... حقا ... ولكنه هو الذى كان يحدثنى عن ابنتى .. وهو الذى دائما يحدثنى عنها ...

المحقق : هذا عجيب ... ولكنى واثق مما أقول ... لا يمكن أن أكون قد خلطت إلى هذا الحد ...

الزوجة : لا يمكن أن يكون هذا الذى تقول ... إنه دائما

يحدثنى عما أحب ... وأنا أحدثه عما يحب ...
لذلك نحن متحابان ومتفاهمان...

المحقق : هذا هو الطبيعى ... ولكن هذا ما لم يحدث ... إنى واثق ... إنى لا يمكن أن أكون قد خلطت إلى هذا الحد ... إنى سأجن فى هذا البيت ...

الزوجة : راجع ذاكرتك يا سيدى ...

المحقق : ذاكرتى سليمة ... راجعى أنت يا سيدتى نفسك ... إنك كنت جالسة ها هنا تشتغلين بالإبرة وتحدثين عن ابنتك التى لم تولد ... أما هو فكان واقفا أمامك هناك ينظف مقصه وجاروفه ... وكان يتحدث عن الشجرة وثمرها ونموها ...

الزوجة : بل كان يتحدث عن الثمرة التى كانت قد تحركت فى أحشائى ... وما كان يقدر لها من نمو ...

المحقق : بل أنت يا سيدتى ...

الزوجة : بل هو ...

المحقق : أتريدين دليلا ... لقد كنت تذكرين « السبوع » وسمعت بأذنى حفلة السبوع وصوت دقات الهون ثم أغنية « برجلاتك ... برجلاتك !... »

الزوجة : أسمعت هذا ؟...

المحقق : كما سمعت صفارة القطار وضجيج عجلاته وأصوات التلاميذ فى الرحلة المدرسية ينشدون « يا طالع الشجرة هات لى معك بقرة !...»

الزوجة : وأين كنت أنت ؟...

المحقق : كنت أجلس ها هنا ... فى هذا المكان بالذات ...

الزوجة : إنى لم أرك ...

المحقق : أعتقد أنك لم ترينى ...

الزوجة : وماذا كنت تفعل فى هذا المكان ؟!...

المحقق : كنت أباشر التحقيق ...

الزوجة : التحقيق ؟...

المحقق : نعم ... فى مسألة اختفائك ...

الزوجة : ولكنى لم أكن تغيبت بعد ... لم أكن قد خرجت من المنزل ...

المحقق : ولكنى جئت هنا لأنك خرجت من المنزل وتغيبت واختفيت ...

الزوجة : ولكنك رأيتنى هنا أحادث زوجى ويحادثنى ...

المحقق : نعم ... هذا رأيته بعينى وسمعته بأذنى ...

الزوجة : لا بد أن هذا حدث ... ما دمت تؤكد أنك رأيته بعينك وسمعته بأذنك ...

المحقق : إنى متأكد وواثق ...

الزوجة : لكن ... مادمت قد رأيتنى هنا بعينك وسمعتنى بأذنك أحادث زوجى ويحادثنى فلماذا مضيت تباشر التحقيق فى أمر تغيبى واختفائى ؟...

المحقق : لأنى قبل ذلك كنت قد بلغت بأمر تغيبك واختفائك ...

الزوجة : من الذى بلغك ؟...

المحقق : لا أدرى بالضبط ... إنها إشارة تليفونية إلى قسم البوليس من المنزل ... من هذا المنزل .... من الخادمة أو من زوجك ... لم أحقق بعد فى هذه النقطة ... ولم يعد هنالك داع إلى التحقيق فيها ... طبعا ... أليس كذلك ؟...

الزوجة : بل هناك داع إلى التحقيق فيها ... يهمنى أن أعرف من الذى أبلغ البوليس ؟...

المحقق : ما دمت قد حضرت ولم تقع جريمة فلا يحق لى الاستمرار فى التحقيق ...

الزوجة : أتسمح لى أن أسأل الخادمة ؟!...

المحقق : تفضلى !...

الزوجة : (**تشير إلى الخادمة القريبة من المدخل**) اقتربى !... إنك تصغين إلى كل شىء ... أجيبى إذن عن السؤال ؟...

الخادمة : لست أنا التى اتصلت بالبوليس ...

الزوجة : إذن هو زوجى ...

الخادمة : لم أره يفعل ... كنت مشغولة فى المطبخ ...

المحقق : ألم يقل لك إنه ينوى الاتصال بالبوليس ؟...

الخادمة : لا ... قال لى فقط : كم يستغرق من الوقت الذهاب لشراء بكرة خيط والعودة ؟... فأجبته بأن سيدتى قالت : مقدار نصف ساعة ... فقال : عندما تنتهى نصف الساعة أخبرينى ، وتركنى وذهب بفأسه إلى الحديقة .. كان ذلك فى اليوم التالى ...

المحقق : اليوم التالى ؟...

الخادمة : نعم ... كان قد مضت ليلة على خروج سيدتى ...

المحقق : ولم يبد عليه القلق ؟...

الخادمة : فى اليوم الأول لا ... قال لى : ما دامت سيدتك لم

تعد بعد ؛ فنصف الساعة لم ينته ... إنها دقيقة فى حسابها ... وإنى أثق فى هذا الحساب أكثر من ثقتى فى دوران الأرض ... وفى اليوم التالى بعد الليلة الثانية ...

المحقق : ماذا قال فى اليوم الثانى ؟...

الخادمة : قال إن من الممكن للأرض أن تكون قد توقفت يوما عن الدوران لحين حضور سيدتك فى موعدها ...

المحقق : وفى اليوم الثالث ؟...

الخادمة : فى اليوم الثالث بدأ يقلق ...

الزوجة : المسكين !...

المحقق : وماذا قال ؟...

الخادمة : قال إن بكرة الخيط التى اشترتها سيدتك قد لفت بها ولا شك الكرة الأرضية لفتين ... ولكن أن تلفها ثلاث لفات ببكرة خيط واحدة ... هذا كثير ...

الزوجة : حقا ... إنه على حق ...

المحقق : وماذا فعل ؟...

الخادمة : عندئذ فقط فهمت أنه سيفعل شيئا ...

الزوجة : هو إذن الذى اتصل بالبوليس ...

الخادمة : لا يوجد غيره ...

الزوجة : يا للأسف !... إنها علامة سيئة ...

المحقق : أيسوؤك أن يقلق عليك ؟!...

الزوجة : لا أحب أن يصاب بالقلق ...

المحقق : فى مثل هذه الحالة القلق واجب ...

الزوجة : إنه لم يعرف القلق قط ... وما كان يجب أن يعرفه ...

المحقق : هذا دليل على مكانتك من نفسه ...

(**طرق على الباب الخارجى**)

الزوجة : هذا هو ...

الخادمة : (**تسرع لتفتح**) نعم هو ...

المحقق : إنى بقيت هنا خصيصا لأعتذر إليه بنفسى !...

الخادمة : (**من الخارج**) سيدى !... سيدى !...

(**يظهر الزوج عليه أمارات التعب** ....)

الزوجة : زوجى العزيز !...

الزوج : زوجتى العزيزة !...

(**يتعانقان** ....)

الزوجة : (**تتفحص زوجها**) هل أنت بخير ؟...

الزوج : (**يتفحصها**) وأنت ؟...

الزوجة : إنى بخير كما ترى ....

الزوج : وأنا أيضا ....

المحقق : اسمحوا لى الآن بالانصراف ... لقد انتظرت خصيصا حتى أقدم إليك الاعتذار بنفسى ...

الزوج : الاعتذار ؟... لماذا ؟...

المحقق : لهذا الإزعاج ...

الزوج : تقصد الحبس ؟..

المحقق : إنى فى شدة الأسف ...

الزوج : لا تأسف ... إنى شخصيا لست بآسف ... إن الحبس لم يسبب لى أى إزعاج ... بالعكس ...

المحقق : حقا ؟!!...

الزوج : ثق من ذلك ... ما كنت أتصور أن الحبس له هذه المزايا ....

المحقق : (**فى دهشة**) أى مزايا ؟...

الزوج : ألم تجرب الحبس ؟..

المحقق : من ؟... أنا ؟...

الزوج : بالطبع لم يسبق لك أن حبست ...

المحقق : بالطبع لا ...

الزوج : فاتك شيء مهم ...

المحقق : ما هو ؟...

الزوج : الشعور بأنك جنين عاد إلى بطن أمه ... يتغذى من الداخل ... ويتنفس من الداخل ... وينتظر يدا تجذبه إلى الخارج فى وقت من الأوقات ...

الزوجة : حبذا لو عادت إلى البطن وخرجت حية !...

الزوج : ذلك إن لساعة الخروج فرحة لا تعدلها فرحة !...

المحقق : طبعا ... ساعة الإفراج مفرحة دائما للسجين ...

الزوج : ساعة خروج البذرة من بطن الأرض خضراء حية !..

الزوجة : (**مرددة**) حبذا لو عادت إلى البطن وخرجت حية !...

المحقق : الحمد لله لقد خرجت سالما منشرح الصدر ... و لم تكن مدة حبسك طويلة ... والآن ... فلنتصافح !... وأكرر لك اعتذارى وأسفى ... وأستأذن ...

(**يصافح الزوج ثم الزوجة وينصرف** ....)

الزوج : (**وقد عاد من تشييع المحقق إلى الباب الخارجى**)

والآن يا زوجتى العزيزة ... إلى العمل أين ... جاروفى وفأسى ؟..

الزوجة : أتذهب إلى حديقتك توا وتجهد نفسك !...

الزوج : أتقولين للمولود ساعة خروجه من بطن أمه يتحرك : لا تجهد نفسك !..

الزوجة : لا ... بل أزغرد ....

الزوج : إذن زغردى !... زغردى !... (**يتجه إلى الحديقة وينظر إليها ويصيح**) يا للمصيبة !.. يا للمصيبة !....

الزوجة : ماذا يا عزيزى ؟!...

الزوج : ما هذا الحفر كله ؟... ما هذا الحفر كله ؟!.... ما كنت أظنهم سيحفرون بهذا المقدار ؟... الويل لهم ولى إذا كانوا قد أصابوا الشجرة بسوء ...

الزوجة : كنت أعرف أنك ستغضب وستحزن !...

الزوج : (**وهو يختفى فى الحديقة**) الويل لهم ولى !... الويل لهم ولى !...

الخادمة : (**تظهر**) لماذا يصيح سيدى هكذا ؟...

الزوجة : الشجرة !...

الخادمة : كانوا يحفرون كالمجانين !...

الزوجة : أكنت هناك طول الوقت ؟...

الخادمة : نعم ...

الزوجة : لك أن تنصرف إلى منزلك الآن وتأتى صباح الغد ... ما نظن أننا فى حاجة إليك اليوم ... يكفى أنك لزمت البيت وحافظت عليه فى غيبتنا ...

الخادمة : شكرا لك يا سيدتى ... شكرا ... زوجى الكفيف كان فى الحقيقة مريضا ... وهو فى حاجة إلى اليوم .... تركتك فى خير ياسيدتى !... (**تنصرف** ...)

الزوج : (**يصيح فى الحديقة**) هذا عجيب ... هذا عجيب ...

الزوجة : (**مطلة عليه**) ماذا حدث !...

الزوج : (**يظهر**) السحلية ... السحلية ظهرت .... عادت ...

الزوجة : عادت ؟!...

الزوج : نعم عادت الشيخة خضرة .... أبصرتها تتهادى فى ثوبها الأخضر ... وتتجه إلى مسكنها ... ثم تقف

كالمشدوهة ... فقد وجدت حفرة هائلة فى انتظارها ...

الزوجة : فى انتظارها ؟!!...

الزوج : أين كانت يا ترى ؟...

الزوجة : كانت بدون شك فى مكان ما ....

الزوج : ما هو هذا المكان الذى يمكن أن تكون فيه بعيدا عن مسكنها طول هذه المدة ؟!... بهذه المناسبة : أين كنت ؟...

الزوجة : أنا ؟...

الزوج : نعم أنت ... أين كنت طول هذه المدة ؟...

الزوجة : ذهبت كما تعلم ... أشترى خيطا ...

الزوج : مفهوم ... لمدة نصف ساعة ؟...

الزوجة : صحيح ...

الزوج : ولكنك لم تعودى بعد نصف ساعة ... بل عدت بعد ثلاثة أيام ...

الزوجة : ثلاثة أيام ؟... هل أنت متأكد ؟...

الزوج : كل التأكيد ...

الزوجة : صحيح ... صحيح ... أنت على حق ...

الزوج : كنت فى مكان ما بدون شك طول هذه الأيام الثلاثة ؟!

الزوجة : صحيح ... فى مكان ما ...

الزوج : ما هو هذا المكان الذى يمكن أن تكونى فيه بعيدة عن منزلك طول هذه المدة ؟...

الزوجة : صحيح هذا سؤال يمكن أن يسأل ...

الزوج : بل يجب أن يسأل ...

الزوجة : يجب ؟!... ولماذا يجب ؟...

الزوج : لأن ... لأنه .... لأنى يجب أن أعرف ...

الزوجة : أضرورى أن تعرف ؟...

الزوج : ضرورى جدا ... ألا ترين من الضرورى أن أعرف أين كنت متغيبة كل هذه المدة ؟!...

الزوجة : وإذا لم أقل لك !؟...

الزوج : ولماذا لا تقولين لى ؟... هناك إذن سبب يدفعك إلى الكتمان ...

الزوجة : سبب ؟!!...

الزوج : سبب مخجل على الأرجح ...

الزوجة : مخجل ؟..

الزوج : أقول على الأرجح ... لأن الإنسان لا يكتم غالبا إلا الأسباب التى تدعو إلى الخجل ... ولكن هذا ليس شرطا لازما فى كل الأحوال ...

الزوجة : خصوصا معى ...

الزوج : خصوصا معك . لذلك أستبعد حدوث أى شىء مخجل .

الزوجة : إنك تضحكنى ...

الزوج : سحبت كلامى ...

الزوجة : أحسنت صنعا ... اتفقنا إذن ... فلنتكلم فى شىء آخر ...

الزوج : أفهم من ذلك أنك مصرة على الكتمان ؟!...

الزوجة : إنى لم أرك قط تلح هكذا فى السؤال ؟!...

الزوج : لأن الموقف يغرى بالتساؤل ... ربما كان الأمر فى حقيقته لا يحتاج إلى كتمان .. ولكن كتمانك وحده يدفعنى إلى أن أعرف سببه ... لماذا تكتمين ؟... لو كان هناك ما يخجل كنت أفهم ... ولكن مادمنا استبعدنا هذا السبب ، فما هو السبب الآخر ؟...

الزوجة : السبب الآخر ؟!... أى سبب آخر ؟؟...

الزوج : السبب غير المخجل ..

الزوجة : مخجل مثل ماذا ؟...

الزوج : لا أريد أن أضرب أمثلة ... كل سبب تخجلين من ذكره فهو مخجل ... هذا ما أقصده ... حتى وإن كان فى نظر الناس جميعا لا غبار عليه ... لكن ثقى ... وأقسم لك ... وأظن لا داعى إلى هذا القسم فأنت تعرفين ... مهما تكن الأسباب ومهما يكن المكان الذى تغيبت فيه ... ومهما يكن الفعل الذى حدث منك طيلة هذه الأيام الثلاثة ، فإن كل هذا لن يغضبنى أو يغير من صلة أحدنا بالآخر ... وأنت متأكدة من ذلك ... أليس كذلك !؟...

الزوجة : صحيح ... إنى متأكدة ...

الزوج : نحن الآن فى مرحلة من العمر لا يمكن أن يحاكم فيها أحدنا الآخر من أجل شىء على الإطلاق ...

الزوجة : صحيح ...

الزوج : إن السقف الذى يظللنا معا هو كل ما لنا ... وما من شىء تحته بعد ذلك يمكن أن يثيرنا ...

الزوجة : صحيح ...

الزوج : لم يعد لدينا وقت فى الحياة ... ولا جهد ننفقه فى محاسبة أحدنا الآخر محاسبة جدية على ما ينبغى وما لا ينبغى ... افرضى أنك فى هذه الأيام الثلاثة ارتكبت جرائم خطيرة : زنيت وسرقت وقتلت ... أو أكثر من ذلك وأفظع ...

الزوجة : ما هذا الذى تقول ؟...

الزوج : افرضى ... افرضى !... ماذا تتوقعين أن أصنع ؟... فى مثل سنى وسنك إذا لم أحاول إنقاذك فعلى الأقل لن أكون سببا فى القضاء عليك ... أليس هذا ما تتوقعين منى ؟!...

الزوجة : طبعا ...

الزوج : إذن ... الشخص الوحيد الذى يجب أن لا تكتمى عنه ... هو أنا ...

الزوجة : طبعا ...

الزوج : هل لك أحد الآن فى هذه الدنيا غيرى ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إذن لماذا تكتمين عنى ؟!...

الزوجة : إنى لم أفكر فى الكتمان ... ويدهشنى أنك تتكلم طول

الوقت عن كتمان ... إنى لست أحاول أن أكتم شيئا ... لم يخطر على بالى قط أن أكتم شيئا عنك أو لا أكتم ... من أين جاءتك هذه الفكرة ؟!... فكرة الكتمان ؟!...

الزوج : عجبا !... لا تريدين الكتمان إذن ؟!... هى فكرتى إذن ؟!!...

الزوجة : بالطبع ... هى فكرتك ...

الزوج : إذن ... المسألة حلت ...

الزوجة : أنت الذى عقدت الأمور ...

الزوج : الظاهر ... إذن مادام الأمر كذلك فكل شىء إذن على ما يرام ؟!...

الزوجة : طبعا ...

الزوج : إذن سأتلقى منك الجواب عن السؤال ؟...

الزوجة : أستعود إلى السؤال ؟...

الزوج : عجبا ؟!... ألم تعدى بالإجابة ؟...

الزوجة : أنا وعدت ؟!...

الزوج : سبحان الله !... ألم تقولى الآن إنك لا تريدين أن تكتمى عنى شيئا ؟...

الزوجة : نعم قلت ...

الزوج : تكلمى إذن : أين كنت ؟...

الزوجة : كنت فى مكان ما ...

الزوج : بالطبع ... لا بد أنك كنت فى مكان ما ... لأنك لا يمكن أن تكون فى غير مكان ... لكن ما هو هذا المكان ؟... بيت أحد أقاربك ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : بيت أحد معارفك ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إنه بيت على كل حال ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فندق ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : مستشفى ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : مصحة ؟..

الزوجة : لا ...

الزوج : سجن ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : « بانسيون » ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : ماخور ؟؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : مرقص ؟؟... ملهى ؟...

الزوجة : لا ... لا ...

الزوج : محل خياطة ؟... محل أزياء ؟...

الزوجة : لا ... لا ...

الزوج : محل بقالة ... عطارة ... خردوات ؟...

الزوجة : لا ... لا ...

الزوج : ملجأ أيتام ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : روضة أطفال ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : مدرسة بنات ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : عند منجمة ؟...

الزوجة : لا ...

الزوخ : عند « كودية »؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى مسجد ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : عند أولياء الله الصالحين ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : عند القوادين والنشالين ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى ذهبية فى النيل ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى عوامة ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى قطار ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى سيارة ؟..

الزوجة : لا ...

الزوج : فى طائرة ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى باخرة ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى غواصة ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى عزبة فى الريف ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى خيمة فى الصحراء ؟!...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى هودج على جمل ؟..

الزوجة : لا ...

الزوج : فوق حصان ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فوق حمار ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فوق متوسيكل ...

الزوجة : لا ...

الزوج : فوق الهرم ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فوق السطوح ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فوق الرصيف ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : على الحشائش ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : على الشواطئ ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى إحدى « الكباين » ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : تحت « الشماسى » !...

الزوجة : لا ...

الزوج : تحت « الكبارى » !...

الزوجة : لا ...

الزوج : عند طبيب ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : عند « داية » ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : عند الحلاق ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : عند عشيق ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : عند « بلطجى » ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى « غرزة » حشيش ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى سوق الخضار ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى سوق السمك ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى سوق « الكانتو » ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى سوق السلاح ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى معمل ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى مشغل ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى مغسل ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى مسمط ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى العنابر ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى المقابر ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إذن أين كنت ؟... أين كنت ؟... أيـن ...؟... أين ؟.. أين ؟... رأسى سينفجر ... إنى سأجن ..

الزوجة : لماذا تعطى كل هذه الأهمية للمكان الذى كنت فيه ؟...

الزوج : لماذا أعطيه كل هذه الأهمية ؟... ألا ترين أهميته الآن ؟... بعد أن طفت بك فى كل مكان فى الأرض والسماء دون أعثر عليه ؟...

الزوجة : لست أرى أهمية لذلك ؟...

الزوج : أنت لا ترين لأنك تعرفين أين هو ... أما أنا فالأمر أصبح بالنسبة إلى خطيرا خطورة هائلة ...

الزوجة : خطورة هائلة ؟!...

الزوج : بالتأكيد ... لا بد أن أعرف أين هذا المكان ... هذا المكان الذى لا سبيل إلى معرفته ...

الزوجة : ولماذا لا تـريح دمـاغك ودماغـى مـن هـذا الموضوع ؟!... ألا يكون ذلك أحسن ...

الزوج : مستحيل ... الآن مستحيـل ... أتتصورين أنت هذا ؟؟... أتتصورين أن هذا ممكن ؟؟... أن أريح دماغى وأنام أو أعمل أو آكل أو أشرب دون أن أدير فى رأسى هذا السؤال مرات ومرات ؟...

الزوجة : أأنت تشك فى أمرى إلى هذا الحد ؟!!...

الزوج : ليس الشك ... ليس الشك ... المسألة لا علاقة لها بشك فى أمرك ولا بنقد لتصرفاتك ... ولا لشىء من هذه الأشياء ... وقد سبق أن أكدت لك ذلك ؟... يجب أن تفهمينى جيدا ... المسألة الآن أخطر من ذلك !..

الزوجة : إنك تبالغ ... لست أرى فى المسألة أى خطورة ؟...

الزوج : ربما ... ربما كان الأمر فعلا كما تقولين .. ربما كان غاية فى التفاهة ... غاية فى البساطة ... لكن مجرد إخفائه ... مجرد الجهل به ... أتدركين قصدى ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إن مجرد تركى بغير إجابة عن سؤالى البسيط لن يدعنى أهدأ ... هل فهمت الآن ؟...

الزوجة : هو إذن الشك فى أمرى ؟..

الزوج : لا ... لا ... ليس هذا ... هو شىء آخر ... لست أدرى كيف أشرحه لك ...

الزوجة : إنى حقا لم أعد أفهمك ... إنى لم أرك قط من قبل فى مثل هذه الحالة ...

الزوج : لأنى لم أواجه من قبل مثل هذه الحالة !... سؤال بسيط لا أجد عنه جوابا ... ولا سبيل إلى معرفة الجواب ...

الزوجة : هذا شىء يحدث كل يوم ، ولا يدعو إلى تكدير الخاطر وشغل البال ...

الزوج : ليس فى هذا الوضع ... ليس فى مثل حالتنا هذه ...

اسمعى !... وافهمى جيدا !... افرضى أننا تركنا هـذه المسألـة ، وانصرف كل منـا إلى عملـه ومشاغله ... هل من الممكن أن أكف عن التساؤل : أين كانت زوجتى خلال تلك الأيام الثلاثة ؟... فى أى مكان ؟... لأنه لا بد أنك كنت فى مكان ما ... هذا باعترافك .. بل وبالبداهة أيضا ... لا يمكن إلا أن تكونى فى مكان ما ... وقد طفنا الآن معا بكل ما يمكن أن يكون مكانا ؛ فأجبت بأنك لم تكونى فيه ... وأنا لا أشك لحظة فى صدقك ... إذا ما من شىء يدعوك إلى الكذب ...

الزوجة : لا ... لم أكذب ...

الزوج : عندما قلت لا . فهى حقيقة لا ...

الزوجة : ثق من ذلك ...

الزوج : إنى واثق .... بقى إذن إجابتك عن السؤال الأصلى : أين هذا المكان ؟... هذا المكان الذى كنت فيه ؟... ولكنك هنا تلزمين الصمت ... الصمت القاطع ... الصمت المخيف ... المفزع ... المرعب !...

الزوجة : إنك تستخدم ألفاظا غريبة !...

الزوج : إنها أبسط الألفاظ تعبيرا عما فى نفسى الآن ... بودى لو أقول ... الصمت القاتل ...

الزوجة : القاتل ؟!...

الزوج : نعم .. إنك ستقتليننى قتلا .. لو تركت على ما أنا فيه ساعة أخرى ... فقد ترتكب جريمة !..

الزوجة : ما هذا الكلام الذى تقوله ؟...

الزوج : إنك تتكلمين هكذا ببرود وفتور ... كأن هذه المسألة كلها غاية فى البساطة ...

الزوجة : وهى فعلا غاية فى البساطة ...

الزوج : عندك أنت ... لأنك تريدين فيما يظهر أن تعذبينى !...

الزوجة : أنت الذى تعذب نفسك بهذا الحديث الفارغ ...

الزوج : إنه ليس فارغا ... إنه شيء خطير ... خطير جدا ...

الزوجة : لم أعد أفهمك ... منذ عودتك الآن من الحبس وأنا لا أفهم ما تقول ....

الزوج : وهل كان الحبس إلا بسببك ؟!...

الزوجة : لم يكن بسببى ...

الزوج : بسبب اختفائك ؟...

الزوجة : لم أكن مختفية ...

الزوج : كنت فى مكان لا يعلمه أحد ... حتى ولا البوليس ...

الزوجة : لا شأن لى بالبوليس !!...

الزوج : ولا شأن لك بزوجك ؟؟!...

الزوجة : وما دخلك فى الأمر ؟!...

الزوج : اتهمونى بقتلك ... لأنك كنت فى مكان لا يعلمه أحد ...

الزوجة : هذه غلطة من اتهمك ...

الزوج : وليست غلطتك ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : ألم تحاولى أن تخطرينى عن تغيبك بالتليفون ؟!...

الزوجة : لا ...

الزوج : ألم تفكرى فى الإزعاج الذى يمكن أن يسببه هذا التغيب ثلاثة أيام متوالية ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : ألم يخطر على بالك أن تصرفك هذا يمكن أن يؤدى إلى نتائج سيئة ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : أخرجت وأنت مزمعة أن تغيبى هذه الأيام الثلاثة ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إذن خرجت فصادفتك ظروف جعلتك تتغيبين دون سابق تفكير ...

الزوجة : لا ...

الزوج : إذن قد فكرت فى التغيب قبل الخروج ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : اسمعى وافهمى جيدا لا يمكن أن يكون الجواب « لا » فى الحالتين ... إما أنك فكرت فى التغيب أو لم تفكرى ... هل فكرت ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إذن لم تفكرى ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إنك تعبثين بى ... هذا واضح جدا ... إنك تريدين العبث بى ... أليس هذا ما تقصدين الآن ؟.. هذا العبث بى هو ما ترمين إليه ... أليس كذلك ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : موقفك هذا لن أحتمله طويلا ... إنى أنذرك ... هل تريدين منى أن ألجأ إلى العنف ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إنى لم أكن قط عنيفا معك ... ولكن الزمام قد يفلت من يدى ... وقد ألحق بك أذى ... أو ألحق الأذى بنفسى ... هل تريدين أن ألحق بك أذى ؟!...

الزوجة : لا ...

الزوج : هل تريدين أن ألحق الأذى بنفسى ؟

الزوجة : لا ...

الزوج : إذن تكلمى ... قولى شيئا ... صدرى أخذ يضيق ... ما هو غرضك من هذا الصمت ؟... أتخافين أن ينالك ضرر من الكلام والمصارحة ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : لماذا الصمت إذن ؟... ما حكمته ؟... لعل له عندك ما يبرره ... لعل له فى نظرك حكمة ... ألهذا الصمت حكمة عندك ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : إذن ما دام الصمت ليست له عندك حكمة ولا غرض ولا تبرير فما معناه ؟ أله عندك معنى ؟

الزوجة : لا ...

الزوج : تكلمى إذن !... ألا تستطيعين الكلام ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : لماذا ؟؟.. إنك لست خرساء ... لك لسان يستطيع أن يتكلم ... ولكن الخرس يصيب لسانك عندما أسألك أن تجيبى ... لأنك لا تريدين أن تجيبى ... إنك لا تريدين الإجابة ... هذا كل ما فى الأمر ... لا تريدين ... أليس كذلك ؟...

الزوجة : لا ...

الزوج : فى كل الأحوال « لا » !... ألن تكفى عن هذا العبث ؟!... ألن ينتهى عبثك هذا بى ؟... ما من إنسان يحتمل هذا !... ما من إنسان .. إنى صبرت عليك أكثر مما ينبغى ... ولكنى أعرف كيف أرغمك على الكلام ... سأرغمك إرغاما ... سأجعل لسانك هذا ينطق ... سأريك كيف ينطق الجواب !... (**يطبق على عنقها**) انطقى الآن ..

الزوجة : لا ... لا ...

الزوج : قلت لك انطقى !... تكلمى !...

الزوجة : لا ... لا ... لا ...

الزوج : لا تضطرينى إلى الضغط على عنقك أكثر من ذلك !... تكلمى !... تكلمى !... فلينطق لسانك بالجواب !...

الزوجة : (**فى حشرجة**) لا ... لا ... لا ... لا ...

الزوج : لا تريدين !... تكلمى قلت لك ... تكلمى ... قلت لك انطقى ... انطقى !...

(**يرى رأسها ينحدر فى يده ... فيهزها فزعا وقد رآها فارقت الحياة** ....)

بهانة !... بهانة زوجتى !... عزيزتى !... بهانة ... بهانة ... لا حول ولا قوة إلا بالله !... أكان الأمر يحتاج إلى هذا ؟... ما العمل الآن ؟... ما العمل ؟... يجب أن أفعل شيئا !... وبسرعة !... بسرعة !... قبل كل شىء يجب أن أبلغ البوليس ... وأسلم نفسى ... هذا هو الواجب ... قتلت زوجتى لأنها ... لأنى ... لأنها ...

(يظل يردد ذلك وهو متجه إلى حيث جهاز التليفون فوق المنضدة . ولكنه ينحرف عنه ويختفى فى الداخل لحظة ، ثم يعود بغطاء فرش أبيض يغطى به زوجته الميته ويزحزحها قليلا إلى جهة مستترة ... ثم يعود إلى التليفون ويدير الرقم ويرفع السماعة إلى أذنه ، وعندئذ يظهر فى الجانب الآخر من المسرح « المحقق » أمام مكتبه يرفع سماعته ، ويدور بينهما الحديث .....)

الزوج : آلو ... حضرة الضابط ؟!...

المحقق : بهادر أفندى ؟!... عرفتك من صوتك ...

الزوج : نعم ... أنا هو ...

المحقق : خيرا !... أكرر لك أسفى مرة أخرى ... أفندم !... أنا فى الخدمة !...

الزوج : شكرا !... أنا ... أنا الآن أتكلم من المنزل بخصوص ...

المحقق : بخصوص ؟..

الزوج : الواقع إنى أردت أن ... أريد أن ... أبلغ عن ...

المحقق : تفضل !... أنا تحت تصرفك ... لا تتردد ...

اطلب ما تريد !...

الزوج : الواقع أنى رأيت من واجبى أن أبلغ ...

المحقق : تبلغ ؟... هل زوجتك بخير ؟...

الزوج : لا ... إن زوجتى قد ...

المحقق : لا تقل إنها اختفت ...

الزوج : فعلا ... فعلا ... إنها اختفت بالفعل ... لكن ...

المحقق : مرة أخرى ؟!... اختفت مرة أخرى ؟!...

الزوج : نعم ... ولكن ...

المحقق : هذا غريب ... اسمح لى أقول لك إن زوجتك غريبة الأطوار !... هذا الاختفاء المتكرر أصبح عندها نوعا من الهواية !...

الزوج : حقا ... لكن ...

المحقق : ألم تقل لك أيضا هذه المرة إلى أين ذهبت ؟...

الزوج : لا ... ولكن ...

المحقق : لعلها ذهبت حيث كانت فى المرة السابقة ..

الزوج : لا ... لكن ...

المحقق : من أدراك ؟... هل قالت لك ذلك ؟...

الزوج : إنها لم تقل لى شيئا ...

المحقق : سألتها بالطبع أين كانت فى المرة السابقة ؟...

الزوج : سألتها ... سألتها و لم ترد أن تقول لى شيئا ...

المحقق : إذن أنت تجهل أين كانت ؟...

الزوج : تمام الجهل ...

المحقق : هذا غريب ... وذهبت هذه المرة أيضا ؟...

الزوج : ذهبت ... نعم ذهبت ... لكن ...

المحقق : لم تقل لك أين ؟...

الزوج : لا ... لم تقل شيئا ... لكن ....

المحقق : وما الذى يجعلك تظن أنها لم تذهب هذه المرة أيضا إلى حيث ذهبت فى المرة السابقة ؟...

الزوج : لا أدرى ... لكن ...

المحقق : أنت إذن تجهل كل شيء عن أسرارها الخاصة ؟...

الزوج : كل الجهل ...

المحقق : وهى لا تريد أن تقول لك شيئا ...

الزوج : لا .. لا تريد ...

المحقق : وذهبت هكذا هذه المرة كما سبق لها أن ذهبت فى المرة السابقة ؟...

الزوج : نعم ... ذهبت ... لكن ...

المحقق : اسمع إذن !... اسمع نصيحتى لا تزعج نفسك !...

الزوج : لا أزعج نفسى ؟...

المحقق : على الإطلاق ... إنها ستعود ... كما سبق أن عادت ...

الزوج : ستعود ؟!...

المحقق : إنى على ثقة ... لا تقلق عليها ...

الزوج : لا أقلق عليها ؟!...

المحقق : هذا خير ما أراه لك ... هدئ نفسك ... ولا تشغل بالك وافلح حديقتك .. دعها لشأنها كما أرادت ... تعود إلى منزلها وقت ما تريد أن تعود ...

الزوج : أهذا رأيك ؟!...

المحقق : نعم هذا رأيى ... وهذه خير نصيحة أقدمها إليك ... اترك هذا الموضوع ... ولا تشغل بالك به على الإطلاق ... الزم الصمت والهدوء ... ولا تقلق !...

الزوج : ألزم الصمت والهدوء ولا أقلق !...

المحقق : تماما ...

الزوج : ولا أفعل شيئا على الإطلاق !...

المحقق : هذا ما أنصحك به ... بكل إخلاص !...

الزوج : شكرا ... شكرا !...

المحقق : العفو ... إنى دائما تحت تصرفك !...

(**كل منهما يضع سماعته ... ويختفى المحقق ...**)

الزوج : ما دامت هذه هى نصيحة البوليس !... فالألزم إذن الصمت والهدوء وعدم القلق !.. هذا حقا خير ما يجب أن أفعل !... لكن ... الجثة ؟... لا بد لها أن تدفن !... أين ؟... عجبا !... (**ينظر إلى جهة الحديقة**) ها هو قبرها موجود ... والذى قام بحفره البوليس أيضا !... البوليس نفسه !... شكرا ... شكرا .... فلتدفن إذن فى صمت وهدوء !...

(**يتجه إلى حيث ترك الجثة ويحملها على كتفه ويخطو بها نحو الحديقة ... وعندئذ يسمع طرقا على الباب فيخفى الجثة فى مكانها ويذهب ليفتح ...**)

الزوج : (**للدرويش الذى ظهر بالباب**) هذا أنت !؟..

الدرويش: نعم .. هذا أنا ...

الزوج : ما الذى ذكرك بى الآن ؟!...

الدرويش: علمت أنك خرجت من الحبس ...

الزوج : وهل هذا يهمك ؟!...

الدرويش: بالطبع ... إنى لا أريد لك السوء ...

الزوج : أرجو ذلك ... لكن ...

الدرويش: أتشك فى حسن نواياى ؟!....

(**ينظر حوله كالباحث عن شىء ...**)

الزوج : لماذا تنظر هكذا فى المكان ؟... عمن تبحث ؟!...

الدرويش: قيل إن زوجتك قد عادت ....

الزوج : نعم ...

الدرويش: إنها هنا إذن ؟..

الزوج : نعم ..

الدرويش: نائمة ؟!...

الزوج : نعم نائمة ...

الدرويش: هدوء البيت يدل على ذلك ...

الزوج : نعم ...

الدرويش: وملامح وجهك تدل على ذلك ...

الزوج : ملامح وجهى ؟!!!....

الدرويش: تدل على أن كل شىء هادئ هنا ... أخشى أن يكون حضورى الآن قد أزعجك ...

الزوج : لا ... لا ... مطلقا ...

الدرويش: نبرات صوتك تدل على أنك ... منزعج !...

الزوج : الواقع أنى ... لم أكن أتوقع زيارتك ...

الدرويش: هذا واضح ... زيارتى لك الآن جاءت مفاجئة ... لعل المفاجأة لم تكن سيئة ...

الزوج : لماذا سيئة ؟!...

الدرويش: مجرد تساؤل ... إن ما يخشاه الزائر دائما هو أن يحضر فى وقت غير مناسب ...

الزوج : وقت غير مناسب ؟!... لماذا ؟!...

الدرويش: مجرد افتراض ...

الزوج : لا داعى إلى هذا الافتراض ...

الدرويش: إذن ... أنا لم أشغلك عن عمل كنت ستقوم به قبيل حضورى ؟!...

الزوج : لا ... على الإطلاق ....

الدرويش: الحمد لله !... أستطيع إذن أن أمكث معك قليلا وأنا مستريح البال ...

الزوج : ولكن ...

الدرويش: لكن ماذا ؟!...

الزوج : لا ... لا ... لاشىء ... لاشىء ...

الدرويش: أرجوك ... تكلم !... كن معى صريحا !...

الزوج : كنت أنوى العمل قليلا فى الحديقة ...

الدرويش: شجرة البرتقال ؟!...

الزوج : نعم ...

الدرويش: وجدت لها السماد اللازم لنموها العجيب فيما أرى ...

الزوج : أترى ذلك ؟...

الدرويش: هذا مؤكد ..

الزوج : كيف عرفت ؟...

الدرويش: إنى أعرف ... منذ زمن طويل ... ولكنك ضعيف الذاكرة ...

الزوج : حقا ... حقا ... أنت تعرف أشياء كثيرة ....

الدرويش: لا تضطرب !.. لا داعى إلى اضطرابك !...

الزوج : وهل أنا اضطربت ؟!.

الدرويش: ثق أنى لا أريد بك شرا ... إنى ما جئت الآن إلا لمجرد الزيارة .. زيارتك أنت والسيدة زوجتك ...

الزوج : زوجتى ؟!...

الدرويش: إنها نائمة ... قلت لى ذلك ...

الزوج : نعم ...

الدرويش: وهل سيطول نومها ؟!...

الزوج : ربما ...

الدرويش: نعم ... ربما يطول أكثر مما نظن ...

الزوج : ماذا تقصد ؟!...

الدرويش: النوم ... أليس من الناس من ينام طويلا ؟!...

الزوج : ماذا تقصد بالنوم الطويل ؟...

الدرويش: الموت طبعا ...

الزوج : الموت ؟!... وما هى المناسبة ؟!...

الدرويش: ألا ترى المناسبة ؟!...

الزوج : إذن أنت تعرف ؟...

الدرويش: بالطبع أعرف ... وسبق أن قلت لك ... ولكنك ضعيف الذاكرة ...

الزوج : حقا ... قلت لى وها أنذا قد فعلتها ....

الدرويش: نعم ... نعم ... فعلتها !... الآن ...

الزوج : لا يوجد ضدى شاهد غيرك ... أنت وحدك الآن الذى تستطيع أن تضعنى فى السجن ...

الدرويش: ومن قال إنى أريد أن أشهد ضدك ... أو أضعك فى السجن ؟!...

الزوج : سبق لك أن فعلت !...

الدرويش: بناء على طلبك أنت ... أنت الذى جئت بى من الهواء لأشهد ...

الزوج : وشهدت ضدى ...

الدرويش: قلت ما أعرف ... وإذا طلبتنى مرة أخرى فسوف أقول ما أعرف ...

الزوج : وإذا لم أطلبك ؟...

الدرويش: لن أقول شيئا ...

الزوج : هل أستطيع أن أثق بك ؟....

الدرويش: كل الثقة ... إنى لا أتحرك من تلقاء نفسى ... ولا أتطوع بالكلام إلا إذا أردت أنت ...

الزوج : وأنا لن أريد ...

الدرويش: وأنا لن أتكلم ...

الزوج : وكيف لى أن أطمئن ؟!...

الدرويش: اطمئن !... إنى واثق من نفسى ... ولكنى غير واثق منك ...

الزوج : لست واثقا منى ؟!...

الدرويش: من يدرينى أنك لن تغير رأيك ... وتطلب منى أنت

المجىء والكلام يوما ؟!...

الزوج : أنا أطلب ذلك ؟!... أطلب ضررى ؟.... أطلب ضياعى ؟؟!...

الدرويش: أنا لا أضمنك ... أنا أضمن نفسى فقط ... أنا لن أتكلم إلا اذا طلبت منى الكلام ... وإذا تكلمت فإنى أقول ما أعرف ...

الزوج : ليس يهمنى ما تعرف .. يهمنى أن لا تتكلم ... هلم بنا إذن !...

الدرويش: إلى أين ؟...

الزوج : تعاوننى قليلا ...

الدرويش: على ماذا ؟...

الزوج : على دفنها .. قبرها جاهز ... حفره البوليس بنفسه !..

الدرويش: حاشا لله !...

الزوج : أترفض ؟...

الدرويش: بالطبع أرفض ...

الزوج : ولكنك كنت تعرف أنى سأقتلها ...

الدرويش: المعرفة لا تعنى الموافقة ...

الزوج : إذن أنا فى نظرك مجرم ؟!...

الدرويش: وهل فى هذا شك ؟!...

الزوج : أنصفنى قليلا أرجوك ... إن قتلها جاء عفوا ... وهى التى اضطرتنى إليه ... هل كان فى الإمكان أن أعيش مع امرأة كهذه ؟!...

الدرويش: لقد عشت معها من قبل سنوات طويلة ...

الزوج : ولكنها أخيرا انقلبت إلى شىء مخيف ... إلى جدار من الصمت ...

الدرويش: مبرر كاف للتحطيم !...

الزوج : لا تسخر ... لو كنت فى مكانى لفعلت عين الفعل ؟..

الدرويش: إنى لن أكون فى مكانك ...

الزوج : إذن لا تظلمنى !

الدرويش: إنى أرثى لك ... تحمل نفسك كل هذا العناء من أجل سؤال لم تتلق عنه جوابا !...

الزوج : لم أستطع منع نفسى .. هذا فوق مقدورى ...

الدرويش: أعرف ...

الزوج : هل كان فى مقدورى أن أظل طول حياتى أجهل ...

الدرويش: لا ... ليس أنت ...

الزوج : إذن ...

الدرويش: لو كنت بلغت البوليس لحطمت نفسك أيضا ...

الزوج : نعم ...

الدرويش: وكل هذا يساوى عندك ...

الزوج : كان لا بد أن أفعل ذلك .. قلت لك ...

الدرويش: نعم ... كان لا بد ... اذهب وادفنها إذن !...

الزوج : هل تساعدنى ؟...

الدرويش: لا تنتظر المعونة من أحد ... احملها بنفسك !...

الزوج : فليكن !... سأحملها بنفسى !...

الدرويش: إنى واثق من قوة ساعديك !...

الزوج : سأحملها ... وسأدفنها تحت الشجرة ... ولست بنادم على شيء ... حياتها كانت عبثا ... أسقطت ثمرتها ... ولم تعش إلا على وهم الأمومة ...

الدرويش: إنها ليست عبثا ... ما دمت ستقدمها غذاء شهيا لشجرتك ..

الزوج : صدقت ... من هذه الوجهة هى نافعة ...

الدرويش: إذا كان هناك عبث ففى حياة الشجرة ...

الزوج : كيف ؟... الشجرة ؟!!...

الدرويش: إنها تأتى بزهر هى لا تشمه ، وبألوان هى لا تشاهدها ، وبثمر هى لا تأكله ... ومع ذلك تكرر هذا العمل العابث كل عام ...

الزوج : هذا ليس عبثا ... هذا عمل نافع ...

الدرويش: بالنسبة إليك أنت ؟...

الزوج : طبعا ...

الدرويش: اعترف إذن أن ما تسميه بالعبث هو بالنسبة إليك أنت ...

الزوج : تريد أن تقول إن حياة امرأتى كانت لها معنى ؟...

الدرويش: معنى كل كائن داخل كيانه ذاته ... لا داخل رأسك أنت !...

الزوج : ولكنها عندى بلا معنى إلا عندما أقدمها الآن غذاء للشجرة ... وتنمو بها الشجرة نموها العظيم ، وتنتج ثمرها العجيب ...

الدرويش: البرتقال فى الشتاء .. والمشمش فى الربيع .. والتين فى الصيف ... والرمان فى الخريف ...

الزوج : نعم ... نعم ...!....

الدرويش: اذهب إذن وأعد لشجرتك الوليمة !...

الزوج : إنى ذاهب ... لكن ...

الدرويش: لكن ماذا ؟...

الزوج : هل حقا ستطرح الشجرة كل هذه الثمار المختلفة فى المواسم الأربعة ؟!...

الدرويش: لا تسألنى أنا !!...

الزوج : فلنجرب !... أما إذا نجحت التجربة ... فأى أعجوبة سوف تظهر !...

الدرويش: فعلا !... أى أعجوبة !...

الزوج : ولكن الشجرة التى ستطرح كل ذلك لن تكون شجرة برتقال !...

الدرويش: لا ... طبعا لن يكون اسمها شجرة برتقال ..

الزوج : ماذا يمكن أن نسميها إذن ؟...

الدرويش: أجل مسألة الاسم إلى ما بعد ...

الزوج : صدقت ... فلنؤجل ذلك إلى ما بعد ... من يدرى ؟... ربما سميت باسمى .. شجرة « بهادر »...

الدرويش: أو شجرة « البهادر »....

الزوج : حقا « البهادر » بدلا من « البرتقال » .... اسم مناسب « البهادر » أليس كذلك ؟..

الدرويش: مناسب جدا ...

الزوج : وسوف يوضع فى الكتب والقواميس !...

الدرويش: بالطبع ... وسيدرس فى الجامعات !...

الزوج : وسيقولون إن هذه الشجرة العجيبة من أهم اكتشافات عصر العلم الحديث !...

الدرويش: بدون شك ... سوف يتناول العلماء هذه الشجرة بالبحث ...

الزوج : البحث ؟!... إذن سيأتى العلماء إلى هذه الحديقة ؟!...

الدرويش: طبعا .. طبعا ... وسيفحصون كل شبر فيها ...

الزوج : سيفحصون كل شبر ؟!...

الدرويش: بديهى ... لمعرفة أسباب هذه الأعجوبة ..

الزوج : سيحفرون إذن تحت الشجرة ؟!...

الدرويش: إلى أعمق الجذور ...

الزوج : ولكنهم سوف يعثرون على الجثة !؟...

الدرويش: أو هيكلها العظمى !...

الزوج : بقايا بشرية على كل حال !...

الدرويش: طبعا ...

الزوج : وسيكون هناك سؤال وجواب !؟...

الدرويش: بالتأكيد ...

الزوج : ويتدخل البوليس !؟...

الدرويش: بدون شك !...

الزوج : ولكن الشجرة العجيبة والاكتشاف العجيب ، وانتفاع العلم والناس بكل هذا ...

الدرويش: سينتفع العلم والناس بكل هذا ...

الزوج : سينتفعون بشجرة « بهادر » !...

الدرويش: نعم ... سينتفعون بشجرة « بهادر » ... ولكن « بهادر » نفسه سيوضع فى السجن !...

الزوج : ما هذا الذى تقول ؟...

الدرويش: القانون ...

الزوج : القانون سيحاكمنى على هذه الجريمة ؟!...

الدرويش: طبعا .. لأن اسمها جريمة قتل !...

الزوج : ولكنها أنتجت اكتشافا نافعا ...

الدرويش: القانون لم يزل يسميها جريمة قتل !...

الزوج : ولماذا لا يغير اسمها ؟!...

الدرويش: يسميها ماذا ؟... « جريمة البهادر » ... بدلا من « جريمة القتل »!...

الزوج : مثلا ... ولا يعاقب عليها ... بل تحفظ ...

الدرويش: تحفظ للمنفعة العامة !...

الزوج : فعلا ... بالضبط !...

الدرويش: إن الأمر أيضا سيحتاج إلى علماء قانون وفقه وتشريع !...

الزوج : ولم لا ...

الدرويش: وسيؤدى ذاك إلى تغيير معنى الكثير من الأشياء : القتل مثلا ، والقاتل ، والقتيل ..

الزوج : ولم لا .. فليتغير كل ذلك ... فليتغير !...

الدرويش: نعم ... فليتغير كل ذلك ...

الزوج : ما دامت شجرة البرتقال لم تعد شجرة برتقال فكل شىء إذن يجب أن يغير اسمه ومعناه ..

الدرويش: حقا .. ولكن ...

الزوج : ولكن ماذا ؟...

الدرويش: لا بد من مرور بعض الوقت حتى يسمى « السجن » باسم آخر غير « السجن » .. وحتى يمكن إنقاذك من بين قضبانه ...

الزوج : هل ترى أنى سأحاكم حقا ؟؟...

الدرويش: وقد يحكم عليك بالإعدام !.. ومع ذلك ... ماذا يهمك من الإعدام ؟...

الزوج : ماذا يهمنى ؟!...

الدرويش: ألم تكن على وشك التبليغ عن الجريمة وتسليم نفسك ؟!.. إلا إذا كنت وقتئذ غير جاد ...

الزوج : بل كنت جادا فى مبدأ الأمر ... ولكن ...

الدرويش: غيرت رأيك إذن ؟!..

الزوج : خلاصة الأمر أنك تريد الآن أن تخيفنى ، وأن تجعلنى أحجم وأتراجع ...

الدرويش: أريد أن ترى المسألة بوضوح ... وأن تعرف جيدا ما ينتظرك !..

الزوج : الاكتشاف معناه اكتشاف جريمتى !...

الدرويش: بالضبط ...

الزوج : ودفع ثمنها !...

الدرويش: بالضبط ...

الزوج : (**مفكرا**) يجب إذن أن أقرر ..

الدرويش: وأن تتخذ قرارك بعد إمعان ...

الزوج : لا داعى إلى الإمعان ... قرارى جاهز ... ولا رجوع فيه ... ولا شيء يجعلنى أخاف وأحجم ... ولو حكم على بالاعدام !... لأن حياتى بعد ذلك لن تساوى شيئا ...

الدرويش: ما هو قرارك ؟!...

الزوج : أريد الشجرة العجيبة !...

الدرويش: إذن اذهب واحمل إليها طعامها !...

الزوج : إنى ذاهب ...

(يتحرك متجها إلى حيث وضع الجثة ... ثم لا يلبث أن يسمع صياحه ، ويظهر مضطربا مأخوذا ...)

الدرويش: ماذا حدث ؟!...

الزوج : الجثة !... زوجتى !... الجثة !؟...

الدرويش: ماذا بها ؟!...

الزوج : اختفت ... الجثة اختفت ...

الدرويش: اختفت ... من موضعها ؟!...

الزوج : اختفت .. غير موجودة حيث تركتها ...

الدرويش: لعلها فى الحديقة ؟!...

الزوج : ومن الذى نقلها ؟!... إنى لم أكن قد نقلتها بعد ؟...

الدرويش: اذهب على كل حال وانظر !..

الزوج : (**وهو ذاهب**) هذا غريب !... غريب !...

(**يذهب إلى الحديقة يتبعه الدرويش بنظراته ..**)

الدرويش: وجدتها ؟!...

الزوج : (**صائحا من الحديقة**) ... لا ... لم أجدها ... ولكن ... الشيخة خضرة ...

الدرويش: مالها ؟... الشيخة خضرة ؟...

الزوج : ميته ... وملقاة فى الحفرة !....

الدرويش: إنا لله وإنا إليه راجعون !... إنى ذاهب توا إلى مكتب التلغراف .. أرسل إليك برقية تعزية !

(**يختفى الدرويش ... ويخلو عندئذ المسرح ... ثم يدوى فى أرجائه فجأة صوت خفى لحفلة « السبوع » :**

« برجلاتك برجلاتك » ويعقبها فجأة صوت القطار وصفيره ونشيد الرحلة المدرسية : يا طالع الشجرة هات لى معك بقرة ... ثم يختلط الصوتان حفلة السبوع ونشيد القطار وصفيره ، ويتداخل أحدهما فى الآخر ....)

رقم الإيداع : ١٩٢٣ / ٨٨
الترقيم الدولى ٧ ــ ٠٣٥٤ ــ ١١ ــ ٩٧٧



دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٤٥٠ قرشا